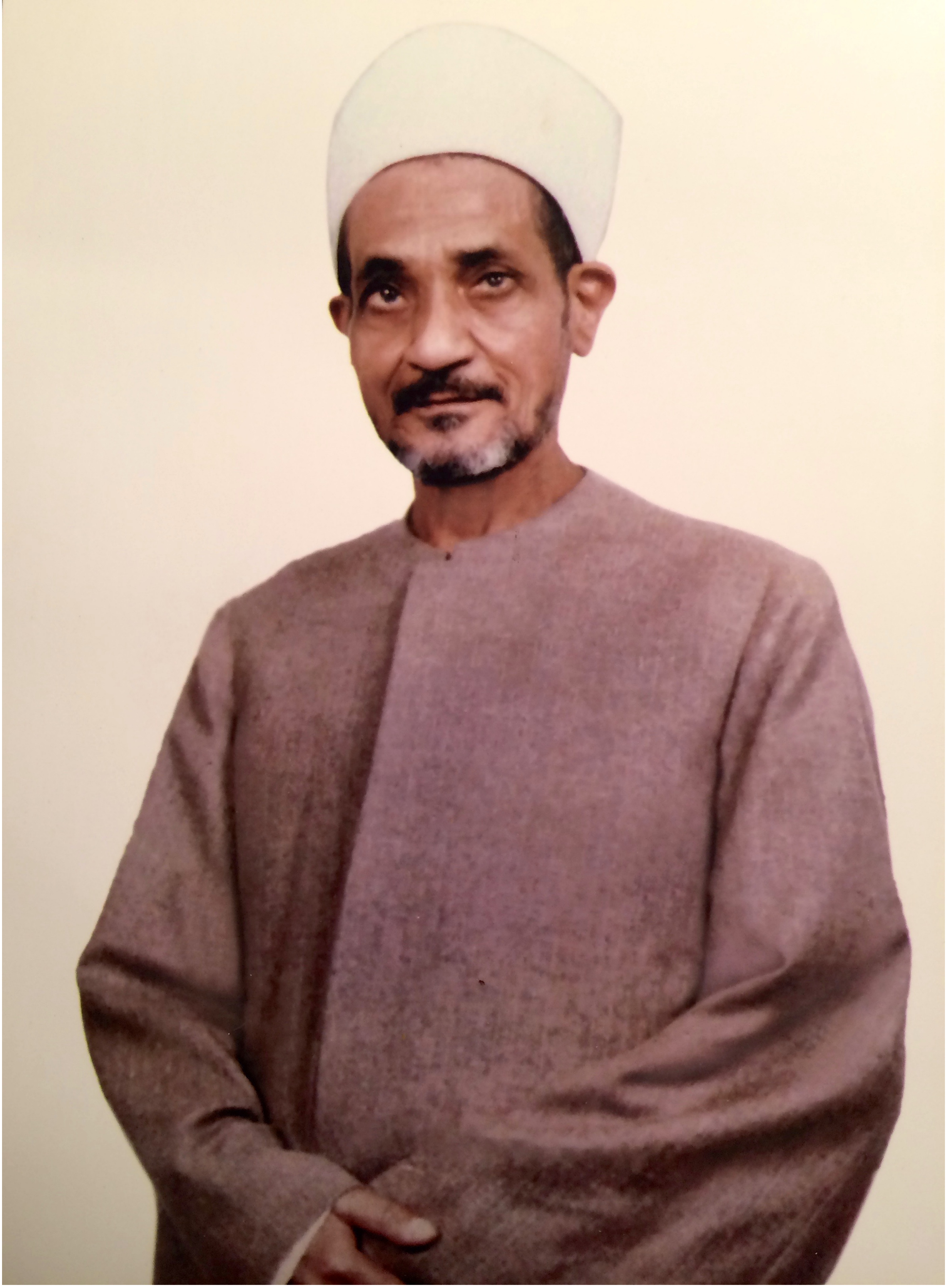


سيدنا الشيخ عبد الوهاب الشريف

مفتاح الأسرار على ورد الستار
للعالم الربانى، والهيكل الصمدانى سيدى عمر جعفر الشبراوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فتح خزائن الأكوان بمفاتيح الكرم والامتنان، ففتح لأوليائه باب محبته، ونشط نفوسهم من عقال الطبيعة فقاموا له بخدمته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة لجميع خليقته، المانح بسرِّ سرِّه أهل صفوته رحمانية الذات، كرسى الأسماء والصفات، هيولى الهباء والطبيعات، وعلى آله وأصحابه القائمين عنه فى أحواله، النائبين منابه فى أقواله وأفعاله٠

(وبعد) فيقول الفقير إلى مولاه الكريم الجواد عمر الشبراوي الشافعي مذهبًا، الخلوتى الشاذلى طريقة :
سألني بعض الإخوان أصلح الله لى ولهم الحال والشان، أن أشرح ورد الستار، فأجبته لذلك، وإن كنت لست أهلاً لما هنالك، معتمدًا على الملك الوهاب، وعلى كتب أهل الظاهر والباطن، وزدت عليها بعض فوائد تناسب المقام، وسميته " مفتاح الأسرار على ورد الستار "٠

فأقول وبالله التوفيق :

مقدمة :
اعلم أن هذا الورد المنسوب لسيدى يحيى الباكوبى الشروانى، الذى هو من رجال السلسلة المتوفى فى سنة سبع أو ثمان وستين وثمانمائة، كما قاله الطاش كبرى فى شقائق النعمان، دفن ببلدة باكوى٠

وسبب تأليفه لهذا الورد على ما نقله شارحه الشيخ ولى الدين بن أوس حلبى بن شاه فى أوائل شرحه لهذا الورد أن :
بعض المنكرين افترى كذبًا على سيدى يحيى الباكوبى المذكور، وقالوا فيه ما قالوا، ترب الله أفواههم، يعنى نسبوه إلى الرفض، أى بغض غير علىّ بن أبى طالب - رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه - ، فبلغه ذلك فاغتمّ غمًا شديدًا، فرأى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فى النوم، وعلّمه هذا الورد، وأمره بتلاوته بعد صلاة الصبح، فقام وامتثل لذلك، وواظب عليه أيامًا٠
فلما سمع المنكرون ذلك الورد من لسان الشيخ المذكور، خجلوا من مقالتهم الكاذبة، فإن فحوى أى : منطوق هذا الورد يردّ عليهم، ويقتضى حب جميع الصحابة٠

وهو على ثلاثة أقسام :
الأوّل : مناجاة الله تعالى، وثناء عليه، واثبات ما يليق به من الأسماء والصفات٠
الثانى : صلاة على النبى -صلى الله عليه وسلم-، ومدح له، وإثبات نبوته٠
الثالث : الترضى عن الأصحاب، ومدحهم٠

فتكون المواظبة عليه سنة من سنن الاولياء، فمن قرأه وواظب عليه، نال ثوابًا جزيلاً، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « من صلى الفجر فى جماعة, ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كان له كأجر حجة وعمرة تامة تامة ثلاث مرات »٠
وقوله " ثم قعد " ليس بقيد، وقوله "ثم صلى ركعتى " أى بنية صلاة الإشراق٠

وعن جابر بن سمرة : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس٠

فينبغي تعود الطاعة والمواظبة عليها، لقوله - صلى الله عليه وسلم - :
« خذوا من العبادة بقدر ما تطيقون، وإياكم أن يتعوَّد أحدكم عبادة، ثم يرجع عنها فليس شىء أشدّ على الله تعالى أن يتعود الرجل العبادة ثم يرجع عنها »٠
رواه الديملى عن ابن عباس٠

وأن كيفية قراءة ورد الستار، كما قاله العارف بالله سيدى مصطفى البكرى - قدّس سره - :

أن يتحلق الإخوان، ويجلس قارئ الورد المأذون له بذلك على يسار الشيخ، أو يسار السجادة، وباقى الجماعة يتحلق، وإذا مرَّ القارئ على الصفات الإلهية فيتخلقون بها، لقوله - عليه الصلاة والسلام- : « تخلقوا بأخلاق الله تعالى »٠

وإذا سكت القارئ فى حال تلاوة الأسماء الحسنى، يقولون جميعا جلَّ جلالُه رافعين أصواتهم بهمة ونشاط، فإن ذلك أبلغ في رفع الحجاب عن القلب٠

وإذا وصل إلى ذكر صفات النبى - صلى الله عليه وسلم- وسكت، يقولون جميعًا - صلى الله عليه وسلم- امتثالاً لقوله - عليه الصلاة والسلام - :
« البخيلُ من ذُكِرتُ عندَهُ ولم يصلِّ عليَّ »٠
و« من صلى علىَّ مرة صلى اللَّه عليه بها عشرًا »٠
رواه أبو داود عن أنس، كذا فى الإكمال٠

واذا وصل إلى ذكر الخلفاء الراشدين يترضون عنهم ، فيقولون عند ذكر الصدّيق الأكبر رضى الله تعالى عنه -، وكذلك عن ذكر سيدنا عمر، وكذلك عند ذكر سيدنا عثمان، ويزيدون عند ذكر سيدنا علىّ - كرَّم الله وجهه -٠

ثم يترضون عن الحسنين بقولهم - رضى الله تعالى عنهما - ثم يسكتون، حتى يصل القارئ إلى دعاء الإخفاء الآتى، ويقرؤنه سرًا لأنه محض دعاء، والإسرار فيه أولى بخلاف ما قبله فإن أكثره ثناء٠

ولأنه عمدة هذا الورد وروحه، لأن فيه استمطار الأسرار الربانية، فينبغى فيه السرّ دون الجهر٠
ولأن جميع ما تقدم علَّمه النبى - صلى الله عليه وسلم - لصاحب الورد كما مرّ، والدعاء الآتى ذكره أخذه الشيخ من أدعيته - صلى الله عليه وسلم - الواردة فى البخارى وغيره، فناسب الفرق بينهما بالجهر فى الأول، والإسرار فى الثانى٠

ثم قال البكرى المذكور :
وقد رأيت سندًا متصلاً إلى المؤلف من رجال طريقتنا، أنهم كانوا يقرؤنه واحدًا بعد واحد من الأشياخ على هذه الطريقة، والباقون يستمعون٠

ولقد أخبرنى بعض خلوتية الشام إنه أخبره من أدرك سيدى أحمد العسالى وسمع منه، أن سيدى أحمد المذكور لما قدم دمشق وفتح الطريق فى الصالحية، كان يقرأ الورد واحد، فاعترض عليه بعض المنكرين، فجمع اخوانه وقال لهم :
الإخوان جسد واحد سواء قرأه جماعة، أو قرأه واحد، ثم أمرهم بقراءته جماعة، وجروا عليه من ذلك الحين٠
وأرسل إلى حسن أفندى مكتوبًا قال فيه : وطريقة قراءة ورد الستار :
أن يقرأه واحد، وسائر الإخوان يستمعون على الدأب القديم٠

وقد جعلوا هذا الورد الشريف للمشاهدة، ومن لم يحضر من الدراويش مجلسه ممن لم يكن موفقا، فليقرأه وحده لئلا يغيب قمر فيض فتوحه٠

وشرط حضوره :
اليقظة والانتباه ظاهرًا للإستماع، وباطنًا للتخلُّق لأن حضوره متأكد على المريدين، لا كما يظنه بعض القاصرين أن عدم حضوره مع إخوانه، وقراءته للورد وحده أولى، فإن ذلك جهل منه بالطريق، لأن أهل الطريق لا يأمرون بشىء للدراويش إلا ويكون أنفع لهم من غيره، ومن ظنَّ فيهم خلاف هذا فقد أساء الأدب مع أهل طريقه، حيث اتهمهم بعدم النصح لهم٠

وحيث كان مقصود أهل الطريق من هذا الورد :
المشاهدة والمراقبة وحصول الجمعية الباطنية، بواسطة الجمعية الظاهرية، فاستماعه أرفع من قراءته وحده، فإن تلاوته ذكر لسانى، وذكر القلب أرفع منه، وثمرته المشاهدة، وهى المقصودة من المجاهدة، وفى جمع الظاهر والباطن على الله تعالى سرّ كبير٠

وقد أسس السادة النقشبندية طريقتهم على هذه الجمعية، فيجتمعون على الشيخ، ويتعلقون بباطنه، تعلق الرضيع بأمّه، ويقبلون عليه، ويتحلقون بين يديه حتى يجعلونه فيهم قلبًا، ويتعشقون جميل صفاته٠

وتخلتف منهم المراقبة باختلاف الأحوال :
فمنهم المراقب لباطن الشيخ بشهود الحضرة، ومنهم المشاهد لظاهره، ومنهم المشاهد لخياله٠

ويشتغل الشيخ بشهود الحضرة المحمدية، والذات العلية الأقدسية، ويستمد منها بواسطة النبى - صلى الله عليه وسلم -، ويفيض على حُضَّار مجلسه اللابسين من أثوابه وملبسه، فعند ذلك تشرق فيهم تلك الإمدادات الربانية، وتبرق عليهم بوارق هاتيك اللمحات الأقدسية، فستغرقون بحضور هذا المجلس المختص بالتطهير والتقديس عن رؤية أهل الكائنات، فهذه جلسة المريد الصادق مع شيخه والإخوان اه٠

قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ :
(اللَّهُمَّ يَا سَتَّارُ يَا سَتَّارُ) :
إنما جعل هذا الاسم، أعنى " اللهم " فى أول الأدعية غالبًا، لأنه جامع لجميع معانى الأسماء الكريمة، وأجمع أكثر العلماء على أنه هو الاسم الأعظم، وذكر فى القرآن فى ألفين وثلاثمائة وستين موضعًا٠

وقوله (يَا سَتَّارُ) :
ابتدأ به المصنف، طالبًا لستر عيوبه عن وارد الورد ليحصل له مدده، فإنه إذا اطلع عليها ربما مقته، وأيضا فقد يطرأ على قارئ الورد لمحات ربانية، فربما يظهر منه حركات ظاهرية يطلع عليها الناس، فربما مالت نفسه إلى إظهارها، وذلك نقص عند أهل الطريق٠

لأن السالك ينبغى له ستر حاله عن الغير ما أمكن، فلا يظهر شيئا مما يراه في سيره من الكرامات الظاهرة والباطنة إلا لمرشده، فإنه الواسطة بينه وبين ربّه فإطلاعه على حاله لا يقطعه عن السير، بل اظهار ذلك له واجب فى طريق القوم ليعرف ما هو عليه وما يناسبه، فيرقيه بهمته وارشاده لأنه بمنزلة الطبيب للمريض فيعالجه بما يناسبه، ومن ظنَّ أنه يصل إلى مقام العرفان، بدون مرشد ومجاهد، فهو جاهل مغرور٠

وأما ما نقل عن سيدى أحمد زروق : أن التربية انقطعت من عصر التسعمائة، فلعله إن ثبت عنه ذلك أراد التربية التامة، بأن يحصل له الكشف والاتصال بالأحوال السنية، بمجرد الاجتماع بالشيخ ونظره له، فيعمر وجوده بمجرّد النظر والتوجه له كما كان يقع لبعض المسلكين٠

لا نفى التربية رأسًا كما يزعم بعض من طمس الله على بصيرته، ويجعل ذلك وسيلة إلى عدم الاعتقاد فى الأشياخ، وعدم التوجه إليهم، وتساعده على ذلك النفس الامَّارة بالسوء، فإن طبعها الكسل والفتور عن التوجه لأى خير كان، فكيف بهذا الأمر العظيم الذى هو أصل لكل خير، وهو التوجه لحضرة الرب جلَّ جلاله، وتصفية السريرة عن كل ما يبعدها عنه تعالى٠

ولو لم يكن مراد الشيخ زروق ذلك لكان مردودًا بالمشاهدة، فقد سلك بعد ذلك العصر على أيدى الأشياخ رجال كثيرة من أهل الله تعالى ؛ كسيدى عبد الوهاب الشعرانى ـ قدس سره ـ، فإنه كان فى القرن العاشر٠

والعارف الشيخ النابلسى، وسيدى مصطفى البكرى، وسيدى محمد الحفنى، وتلامذته ؛ كالشيخ الكردى، وغيرهم ممن رأيناه من أهل زماننا، ومما سمعنا به من المشارقة والمغاربة فى عصرنا وقبل عصرنا بقليل، فإن زعم هذا أنهم لم يسلكوا الطريق، ولم يفض عليهم من أنوار الولاية فلا كلام معه، لأنه يشبه حينئذ من يذكر نبوَّة النبى، ويقول هو ساحر هو كذاب، ومن أين له إنه نبى وهو بشر مثلنا٠

وإن ادعى : أن إفاضة الأنوار عليهم بطريق الجذب الإلهى لا بطريق السلوك٠
قلنا له : لا خصوصية لأهل العصر المتأخر، بل جميع السالكين فى كل عصر لابدّ مع سلوكهم من الجذب، ولو فى حال الذكر، فمن لم يكن له نصيب من ذلك لم يفده السلوك شيئا، وإن ادّعى أن عدم ظهور الكرامة لبعض المسلكين يقدح فى ولايته فلا يصلح للإرشاد، فهو جهل منه لأنها ليست شرطًا فى الولاية، بل هى نقص عند الكُمَّل من الرجال، نعوذ بالله من شر الأشرار القاطعين عن الله تعالى (قاله العارف الشيخ الشرقاوى)٠

وذكر فى كتاب الإبريز :
إن بعض الفقهاء سأل الشيخ عبد العزيز الدباغ - رضى الله تعالى عنه - عما قيل : إن التربية انقطعت فهل ذلك صحيح أم لا ؟
فمن ذلك ما نقل عن العارف بالله الشيخ زروق، فإنه قال :
أن التربية انقطعت بالاصطلاح، ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان، هل ذلك خاص بزمانه، أو هى منقطعة إلى نزول سيدنا عيسى عليه السلام ؟
وإذا قلتم هى باقية، فمن الشيخ الذي تعطى له روح المريد يتصرف فيها كيف شاء؟ عينه لنا فى أى إقليم، أو فى أي بلد؟ هذا سؤال البعض٠

فأجاب - رضى الله تعالى عنه - :
بأن المقصود من التربية : تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها حتى تتحمل الأسرار، وليس ذلك إلا بازالة الظلام منها، وقطع علائق الباطل عن وجهتها، ثم قطع الباطل عنها٠

فتارة يكون بصفائها فى أصل خلقتها :

بأن يطهرها الله بلا واسطة، وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون٠
فقد كان الناس فى هذه القرون متعلقين بالحق تعالى باحثين عنه، إذا ناموا ناموا عليه، وإذا استيقظوا استيقظوا عليه، وإذا تحركوا تحركوا به، حتى إن من فتح الله بصيرته، ونظر إلى بواطنهم، وجد عقولهم متعلقة بالله تعالى وبرسوله، باحثة عن مرضاتهما، فلهذا كثر فيهم الخير وسطع فى ذواتهم نور الحق تعالى، وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيف ولا يطاق مع قلة الزمن٠
فكانت التربية فى هذه القرون غير محتاج إليها، وإنما يلقى الشيخ مريده فيكلمه فى أذنه، فيقع الفتح للمريد بمجرّد ذلك لطهارة ذواتهم، وصفاء عقولهم، وتشوّقها إلى طريق الرشاد٠

وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه :

أعنى قطع الظلام من الذوات، وذلك فيما بعد القرون الفاضلة، حيث فسدت النيات والطويات، وصارت العقول متعلقة بالدنيا، باحثه عن الوصول إلى نيل الشهوات، فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده فيعرفه وينظر إليه، فيجد عقله متعلقًا بالشهوات الباطلة، ويجد ذاته تتبع العقل فى ذلك، فتلهو مع اللاهين، وتسهو مع الساهين الغافلين، وتميل مع المبطلين، وتتحرك الجوارح فى ذلك حركة غير محمودة، من حيث أن العقل الذى هو مالكها، مربوط بالباطل لا بالحق٠

فإذا وجده على هذه الحالة أمره بالخلوة، وبالذكر، وبتقليل الأكل٠
فبالخلوة : ينقطع عن المبطلين الغافلين، الذين هم كالموتى٠
وبالذكر : يزول كلام الباطل، واللهو، واللعب، واللغو، والذى كان السبب فى ثقل لسانه٠
وبتقليل الأكل : يقل البخار الذى فى الدم فتقل الشهوة، فيرجع العقل إلى التعلق بالله ورسوله٠
فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة أطاقت ذاته حمل الأسرار، فهذا هو غرض الأشياخ من التربية٠

ثم بقى الأمر على هذه الحالة مدة إلى أن اختلط الحق بالباطل، والنور بالظلام، فصار أهل الباطل يربون من يأتيهم، بإدخال الخلوة، وتلقينه الأسماء على نية فاسدة، وغرض مخالف للحق٠

وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تقتضى المكر والاستدراج، وكثر هذا الامر فى الأعصار التى أدركها الشيخ زروق وأشياخه ـ رضى الله تعالى عنهم ـ، فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التى كثر فيها المبطلون، وأن يأمروا الناس باتباع الكتاب والسُنَّة، اللذين لا يضلّ من اتبعهما، فكلامهم خرج مخرج النصيحة لله ولرسوله٠
ولم يريدوا ـ رضى الله تعالى عنهم ـ الانقطاع عن التربية الحقيقية رأسًا، وحاشاهم من ذلك، فإن نور النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ باقٍ ، وخيره شامل، وبركته عامة إلى يوم القيامة٠

وأما قول البعض : فمن الشيخ الذى تعطى له روح المريد الخ٠٠٠ ؟
فالجواب أن الشيخ الذي يلقى إليه بالقياد :
هو العارف بأحوال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتي صار على قدمه، وسُقيت ذاته من نوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأمده الله بحقيقة الايمان، وصفاء العرفان، فهذا هو الذي يلقى إليه بالقياد، وتنبغى محبته، وتنفع الخلطة به، فإنه يجمع العبد على ربه٠

وأما قوله فعينه لنا فى أىّ إقليم أو بلد ؟ فالجواب :
أن الموصوف المذكور متعدّد فى البلاد والعباد والحمد لله، فلا تخرج عن أهل السنة والجماعة، واطلبه تجده، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون٠ اه

وقوله : " وسقيت ذاته " إلخ : أى لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سر الله من هذا الوجود، وجميع الموجودات تستمدّ منه دنيا وأخرى٠

تنبيه :
ذكر سيدى محيى الدين فى الفتوحات، صفة العارف فقال :
إن العارف عند طائفة الصوفية هو :
من أشعر قلبه الهيبة والسكينة، وعُدِم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى، وإذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الأكوان، فيهابه كل ناظر، وهو مع الحق تعالى فى جميع حركاته وسكناته، كثير الحياء، فى قلبه التعظيم، يقدّم حق الله تعالى على حظوظ نفسه، بطنه جائع، وبدنه عار، يبكي بعينه، ويضحك بقلبه، هو كالأرض يطؤه البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شىء، وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب، لا يقضى وطره من شىء، وذلك ليدوم افتقاره إلى الله تعالى ذوقًا، شأنه الفقر والذل، رسول بين يدى الله تعالى، يفتح له فى فراشه كما يفتح له فى صلاته، وإن اختلفت الواردات بحسب المواطن٠

ثم قال :
وأما صفة العارف عندنا، وعند غيرنا من المحققين :
فهو أن يكون قائمًا بالحق فى جمعيته، جهول النعت والصفة عند جميع العالم، لا يعرف مقامه فيحد، ولا يفارق العادة فيتميز، ولا يرمى ميزان الشريعة من يده، عام الشفقة على خلق الله تعالى، يعلم مكارم الأخلاق من سفاسفها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم, يتبرأ ممن تبرأ الله منه، يحسن اليه مع البراءة منه، يشاهد تسبيح المخلوقات كلها مع تنوّعات أذكارها، لا يظهر إلا لعارف مثله، وأطال فى ذلك٠ اه

فائدة :

ذكر العارف بالله أبو العباس أحمد بن محمد القرشى التميمى البكرى الصدّيقى، قصيدة له بين فيها شروط شيخ التربية، وشرحها سيدى عبد العزيز الدباغ، فأحببت أن أذكر بعضها تتميمًا للكلام السابق٠
قال الشيخ المذكور :
وللشيخ آيات إذا لم تكن له * فما هو إلا فى ليالى الهوى يسر
أى : ولشيخ التربية علامات ظاهرة، وهى :
أن يكون سالم الصدر على الناس، ويكون كريمًا، وأن يحب من أساءه، وأن يتغافل عن خطيئات المريدين، فإن لم تكن فيه هذه العلامات فليس بشيخ٠

ثم قال :
إذا لم يكن علم لديه بظاهر * ولا باطن فاضرب به لجج البحر
المراد بعلم الظاهر : علم الفقه والتوحيد، أى : القدر الواجب منهما على المكلف٠
وعلم الباطن : معرفة الله تعالى٠

ثم قال :
وإن كان إلا أنه غير جامع * لوصفيهما جمعًا على أكمل الأمر
فأقرب أحوال العليل إلى الردى * إذا لم يكن منه الطبيب على خبر

أى : إن لم يكن الشيخ متصفًا بهذين العلمين، فأقرب أحوال المريد معه إلى الهلاك، لأنه لا يعلم ما يضرّ المريد، ولا ينفعه لجهله٠

ثم قال :
ومن لم يكن إلا الوجود أقامه * وأظهره منشور ألوية النصر
فأقبل أرباب الإرادة نحوه * بصدق يحل العسر فى جلد الصخر
وآياته أن لا يميل إلى هوى * فدنياه فى طىّ وأخراه فى نشر

أى : ومن لم يكن من الشيوخ أثبته شيخه بالإذن له فى الإرشاد لكونه مات عنه قبل أن يكمله، ولكن أثبتته الناس، وأظهره فيها منشور أعلام النصر، بحيث نصر الله به أعلام المريدين على نفوسهم وشياطينهم، فأقبل بذلك النصر أرباب الإرادة الذين يرغبون فى القرب إلى الله تعالى بصدق، وبخرق الصخور، فهذا هو المرشد، لأنه يحتمل أن يكون تكمَّل على رجال الغيب، أو الخضر- عليه السلام -٠

وقوله " وآيته " : أى علامته الظاهرة الدالة على استحقاقه المشيخة، أن لا يميل إلى هوى فى تربيته٠
وقوله " فى طىّ " : كناية عن الزهد فى الدنيا٠
وقوله " وأخراه فى نشر" : كناية عن الرغبة فيها، والإقبال عليها٠

ثم قال :
وإن كان ذا جمع لأكل طعامه * مريدًا فلا تصاحبه يومًا من الدهر
أى : إن كان الشيخ المرشد يجمع الناس لأجل الطعام، فلا تصحبه ولا تتبعه لأجل الطعام٠
وأما ان كان يجمع الناس عليه لأجل جمعهم على الله تعالى، وله مع ذلك طعام فلا بأس بصحبته واتباعه٠

ثم قال :
ولا تسألن عنه سوى ذى بصيرة * خلىّ من الأهواء ليس بمغتر
المعنى : لا تسأل عن المرشد، إلا من جمع ثلاثة شروط :
الأول : أن يكون ذا بصيرة٠
الثانى : أن يكون خاليًا من الأهواء٠
الثالث : أن لا يكون مغترًا٠

ثم قال :
فمن صدئت مرآة ناظر فهمه * أرته بوجه الشمس من كلف البدر
ومن لم يكن يدرى العروض فربما * يرى القبض فى الطويل من أظهر الكسر

المعنى : فمن صدئت عينه يرى السواد الذى فى وسط القمر على وجه الشمس التى لا سواد فيها أصلاً،، لانعكاس الحقائق فى حقه.
ومراده : إنَّ من لم يكن ذا بصيرة فإنه يرى العيب فى المرشد الكامل فينفر عنه، ويرى الكمال فى السالك فيدل عليه.

وقوله " ومن لم يكن يدرى العروض" :
أى : ومن لم يعرف ميزان الشعر، ربما يعتقد أن سقوط الخامس من عروض بحر الطويل هو من أقبح العيوب فيه، كذلك من لم يعرف اصطلاح الصوفية فى أوصاف المرشد المربى ربما رأى الكامل فظنه مبتديا فنفر عنه ، كما دل على المجذوب وهو لا يستحق.

وحاصل ما ذكره الناظم فى هذه الأبيات :
أن المرشد إذا كان خاليًا من العلم الظاهر والباطن فإنه لا خير فى صحبته، وإن من كان متصفًا بهما على الكمال، وكانت فيه العلامات السابقة فإنه يشيخ.

وهذا إذا أقامه شيخه فى التربية، وأذن له فيها حال حياته، وأما إن مات قبل ذلك، ولم يكمُل فى زمان شيخه، فهذا إن ظهرت عليه أمارات الفتح، وأعرض عن الدنيا والتطلب من أهلها، وأقبل على الآخرة، ووقع الفتح على يديه للمريدين، فهذا هو الشيخ أيضا.
وأما إن لم يكن فيه إلا مجرّد جمع الناس على الطعام، فهذا لا خير فى صحبته.

ثم أشار الناظم إلى الآداب التى تجب على المريد فى صحبة مرشده، ومربى روحه، فقال :

ولا تقدمن على شيخ بقصد الدخول فى صحبته حتى تعتقد أنه من أهل التربية، وأنه الأحق بها فى زمانه.
وإنما وجب عليه ذلك : لأن المرشد الذى يجد من مريده التفات إلى غيره يقطع عنه المدد، والمريد الذي يدخل في صحبة شيخ، وهو يرى أن فى الوجود شيخًا مثله أو أعلى منه، فيراه شيخه متشوقًا إليه فيقطع عنه المادة.

ثم قال :
وضعها بحجر الشيخ طفلاً فمالها * خروج بلا فطم عن الحجر والحجر
أى : ضع نفسك في حجر شيخك يربيك تربية الطفل فى حجر أمّه، فليس لنفسك قبل الفطام خروج عن حجره وتحجيره.
فالحجر الأوَّل : هو المعروف، الذى هو مقدم القميص.
والحجر الثانى : معناه المنع.

ثم قال :
ومن لم يكن سلب الإرادة وصفه * فلا يطمعن فى شم رائحة الفقر
أى : ومن لم يكن من المريدين وصفه مع شيخه المربى له، سلب الإرادة مع إرادة شيخه فلا يشم رائحة الفقر٠

ثم قال :
وهذا إن كان العزيز وجوده * ولكنه فى العزم خال من العسر
أى : وهذا وإن كان قليلاً لا يكاد يوجد، ولكنه من حيث العزم عليه ممكن، وخال من التعزيز والامتناع٠

ثم قال :
ولا تعترض يومًا عليه فإنه * كفيل بتشتيت المريد على هجر
أى : ولا تعترض على شيخك أبدًا فإن الاعتراض ضامن لتشتيتك عن ربك٠

ثم قال :
ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده * يظل من الإنكار فى لهيب الجمر
يعنى : أن الشيخ مصيب فى فعله فيعتقد أن الصواب فى ذلك الفعل، فالمريد إذا اعتقد الصواب مثل اعتقاد شيخه ربح ونجح، وإلا فيصير أمره إلى مقارفة شيخه، وفراقه كلهيب الجمر٠

قال الشيخ الأكبر :
ومن شرط المريد أن يعتقد فى شيخه أنه على شريعة من ربه، ولا يزن أحوال شيخه على ميزان الشرع، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة فى الظاهر، وهى محمودة فى الباطن فيجب التسليم٠ وكم من رجل كان بيده كأس خمر ورفعه إلى فِيِّه، وقَلَبَهُ الله عسلاً فى فِيِّه، والناظر المحجوب يراه خمرًا، وهو ما شرب إلا عسلًا، ومثل هذا كثير٠

وقد رأينا من يجد روحانيته على صورة، ويقيمها فى فعل من الأفعال، ويراها الحاضرون على ذلك الفعل، فيقولون رأينا فلانًا يفعل كذا، وهو بمعزل عن ذلك الفعل٠
وهذه أحوال أبى عبد الله الموصلى المعروف بقضيب البان، وقد عاينا هذا مرار فى أشخاص٠ اه

ثم قال :
ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره * ولا تملأن عينًا من النظر الشزّر
النظر الشزّر : هو النظر يمينًا وشمالًا، أو نظر فيه اغضاء، أو هو نظر الغضبان، والمناسب للأوّل أن يكون ذلك النظر لغير الشيخ٠
فكأنه يقول :
ولا تعرف فى حضرة الشيخ، وهى محل جلوسه غيره، ولا تنظر فى حضرته إلى ذلك الغير يمينًا أو شمالاً٠

وأما المعنى الثانى، والثالث للنظر الشرر :

أى : ولا تعرف فى حضرة الشيخ غيره، ولا تنظر إلى شيخك نظر غضب، أو نظر إغضاء كأنه يفضى عن بعض ما فعله، لكن هذان المعنيان لا يناسبان الكلام مع المريد الصادق، وهو يدور مع شيخه حيثما دار ·

ثم قال :
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته * ولا تجهروا جهر الذي هو فى قفر
أى : ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت الشيخ فإن ذلك يخل بالأدب، ولا تجهر له بالقول كجهل سكان القفار والبوادى الذين معهم جفاء وجلافة، ولكن عظِّموه وفخِّموه·

فينبغى للمريد أن يتأدب في حضرة شيخه، كما كانت تفعله الصحابة مع رسول الله -صلى الله عليه و سلم-·
قال تعالى : { لاَ تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ } الآية·

قال السهراوردى فى " العوارف " :
أصل نزولها : أن ثابت بن قيس ابن شماس كان فى أذنه وقر، وكان جهورى الصوت، وكان إذا تكلم جهر بصوته، فيتأذى بصوته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأنزل الله هذه الآية تأديبًا له ولغيره·

وقيل أنها نزلت فى منازعة أبى بكر وعمر- رضى الله تعالى عنهما - بحضرته - صلى الله عليه وسلم-، فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبى - صلى الله عليه وسلم - لا يسمع كلامه حتى يستفهم، وأبو بكر كذلك - رضى الله تعالى عنهما - فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع شيخه فلا ينبسط برفع الصوت، وكثرة الضحك إلا اذا باسطه الشيخ·

ثم قال :
ولا تقعدن قدامه متربعًا * ولا باديًا رجلًا فبادر إلى الستر
معناه ظاهر ·

ثم قال :
ولا باسطًا سجادة بحضوره * فلا قصد إلا السعى للخادم البر
وسجادة الصوفىّ بيت سكونه * ولا وكر إلا أن يطير عن الوكر
المعنى :
ولا تكن أيها المريد باسطًا سجادة تجلس عليها بحضوره فإن ذلك ينافى خدمتك له، ويوهم التساوى مع الشيخ فى الدرجة، ومحل سجادة الصوفى محل بيت سكناه لا مجلس شيخه، بل ينبغى له فى مجلس شيخه التواضع، والتصاغر ·

وقوله " ولا وكرا الخ " :
الوكر : هو عش الطائر الذى يأوى إليه، وأطلقه هنا على مجلس الشيخ الذى يأوى إليه المريدون٠
أى :
كما أنه لا سجادة لك مع حضور شيخك، فلا وكر لك معه إلا بإذنه، اللهم إلا أن تكون تربية المريد كملت، وأذن له الشيخ بالإرشاد، فلا بأس بالجلوس حينئذ لكن بعد الانفصال عن الشيخ وفراقه لمحل آخر٠

وعنه كنى بقوله " إلا أن يطير عن الوكر" :
أى : إلا أن يكمل أمره، ويطير عن شيخه، ويستقل بنفسه، كالفرخ الذى كملت تربيته، وقدر على الطيران فإنه يستقل بأمره، ولا يحتاج إلى أبيه٠

وقوله " فلا قصد إلا السعى للخادم البر " :
أى : لا غرض للخادم البر الصادق فى الإرادة إلا السعى فى مهمات شيخه، وخدمته له٠

ثم قال :
وما دمت لم تفطم فلا فرجية * عليك ولا تلفى عليها بمستجر
أى : وما دمت أيها المريد لم تفطم عن رضاع التربية، ولم تبلغ درجة الاستقلال فلا ينبغى لك لباس ما هو من زى الشيوخ ؛ كالفرجية مثلاً٠
والمستجرى : هو الذى له جراءة على الشىء٠

قال أبو عبد الرحمن سيدى محمد السلمى :
ويكره لبس الفرجية إلا للمشايخ فإنها بمنزلة الطيلسان والسجادة، فالطيلسان للمشايخ، والبرانس للمريدين، إلا اذا كانت عادة المريد لبس ذلك، بأن كان عالم أو ابن سلف٠ اه

ثم قال الشيخ :
ولا ترين فى الأرض دونك مؤمنًا * ولا كافر حتى تغيب فى القبر
أى : لا ترين أيها المريد فى الأرض مؤمنًا أو كافرًا أدنى منك منزلة، وأخفض عند الله مرتبة، بل اعكس الأمر واعتقد أنك دون كل أحد، واستمرّ على ذلك إلى الموت٠

وسُئِل أبو يزيد البسطامى، متى يكون المريد متوضعًا ؟
فقال : إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالاً، وتواضع لكل أحد على قدر معرفته بربه٠ اه

ثم قال :
فإن ختام الأمر عنك مغيب * ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر
يعنى : أن الخاتمة مجهولة، وجهلها يقتضى ما سبق فى البيت قبله، فإن كان الشخص ذا خسر فلا إشكال فى خوفه، وإن كان ذا عمل صالح فإنه لا يأمن مكر الله تعالى٠

قال ابن العربى الحاتمى :
ومن أدبهم مع الله تعالى، وقليل فاعله :
أن يعتقد الإنسان أن لله نظرات فى كل الأزمان إلى قلوب عباده، يمنحهم فيها من معارفه ولطائفه ما شاء٠
وبالجملة : أن الأمور كلها مربوطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات والمألوفات، ولا يمكن الحكم عليها بالقياس فضلاً عن التحقيق، ولكن الله أخفى فعله عن الخلق رحمة بهم، لأنه لو أطلع الخلق على مشاهدة أفعاله لذابت وتلاشت ذواتهم، لأن الحادث لا يطيق مشاهدة فعل الرب سبحانه وتعالى٠

ثم قال :
ومن حل من صد الإنابة منزلاً * يرى العيب فى أفعاله وهو مستبر
أى : ومن حل، ونزل من صدق الإنابة إلى الله، والرجوع إليه الرجوع الكلى منزلًا، يرى العيب فى أفعاله التى تقرّبه إلى الله، وهو مستبر٠

أى : وهو برئ، فالسين والتاء زائدتان، وإنما كان بريئًا من ذلك العيب الذى رآه لكونه قد أتى به على ما ينبغى شريعة وحقيقة فى ظاهره وباطنه، لكنه يتهم نفسه، ولا يأمن أن يكون خفى عليه شئ من دسائس نفسه وشيطانه٠ اه

وبالجملة :
فالشيخ المربى موجود فى كل زمان لأن نور النبوّة ساطع، وامداداته موجودة إلى يوم القيامة كما مر٠

ولنرجع لما نحن بصدده فنقول، قال المصنف :
(يَا عَزِيزُ)
أتى به إشارة إلى أنه ينبغى لتالى الورد أن يكون عزيزًا بربه، فلا يذل نفسه لأهل الدنيا طمعًا فيما بأيديهم، فإن أعطوه شيئا عن طيب نفس أخذه بغير ذل ومهانة، ملاحظًا حال الأخذ أن المعطى هو الله تعالى، الذي حرك قلوبهم للإعطاء، ومع ذلك ينبش فى وجوههم ظاهرًا تأليفا لهم٠
فإن لم يكن بتلك الصفة بأن علق قلبه بالمخلوق فقد أذنب فينبغى له أن يتوب، ويطلب من الله المغفرة٠

فناسب أن يقول :
(يَا غَفَّارُ يَا جَلِيلُ يَا جَبَّـار) وسيأتى معنى هذه الأسماء إن شاء الله تعالى٠

(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ) جمع قلب، وهو يطلق على معنيين كما قاله الغزالى :
أحدهما : اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر، وفى باطنه تجويف فيه دم أسود، وهو منبع الروح الحيوانى٠

والثانى : لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق، كتعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، وتلك اللطيفة هى الإنسان، المدرك العالم المخاطب المثاب المعاقب، ويسميها الحكيم " النفس الناطقة " وهى من عالم الملكوت٠

ولذا قال أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - :
في قوله تعالى { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } فالبحر : القلب، والبر : اللسان٠
فإذا فسد اللسان بكت عليه الجوارح، وإذا فسد القلب بكت عليه الملائكة، وصلاحه يكون بمداومة الذكر والمجاهدة٠

قال الشيخ النووي - قدس سره - :
دواء قلبك خمس عند قسوته فدم عليها تفز بالخير والظفر :
إخلاء بطن، وقرآن تدبره، كذا تضرّع باكٍ ساعة السَّحر، كذا قيامك جنح الليل أوسطه، وأن تجالس أهل الخير والخبر٠

قال -صلى الله عليه و سلم- :
« إنَّ القلوبَ لتصدأُ كمَا يصدأُ الحديدُ إذَا أصابَهُ الماءُ ، قالُوا : يا رسولَ اللهِ فمَا جِلاؤُهَا ؟ قالَ : كَثْرَةُ ذكرِ اللهِ »٠

فينبغى للمريد كثرة الذكر من غير تخلل غفلة، وإن كان الذكر ثقيلًا على الذات أكثر من العبادة.

قال فى الأبريز : والمقصود بالذات :
الذات الخبيثة فإنها سقيت بالظلام، والذكر يسقيها بالنور، وهى لا تقبله للظلام الذى فيها، فهو يريد أن يقلبها عن طبعها ويخرجها عن حقيقتها، كمن يريد أن يجعل فى المرأة طبع الرجل، والعكس بالعكس، وكمن يريد أن يجعل طعم القمح وحلاوته فى غيره من الحبوب، بخلاف العبادة غير الذكر، فإنها شغل لظاهر الذات فهى بمنزلة الخدمة بالفأس، فالثقل فيها إنما هو من جهة تعب الذات. والله أعلم. اه

واعلم أن أهل الذكر معانون على قضاء حوائجهم، وأنهم أهل الله وخاصته، وتحرم أذيتهم.

ولذا قال ابن العربى في الفتوحات :
إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله تعالى لو أخطئوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئا، لأن الله تعالى يعطيهم بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته حرمت معاداته ومحاربته.

وإنما جاز لنا هجر بعض المريدين الذاكرين الله تعالى، لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه ونزدريه.
ثم قال : وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله عليه بالنار فليمحيه بالتوحيد والذكر، فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة، ومن طبع النار أن لا تحرق موحدًا لابد من ذلك. اه

فائدة :
قال العارف الشعرانى في أول " اليواقيت " نقلاً عن الإمام جلال الدين السيوطى
أنه قال فى كتابه " التحدث بالنعمة " :
ومما أنعم الله به علىَّ أن أقام لى عدوًّا يؤذينى ويمزق فى عرضى، ليكون لى أُسوة بالأنبياء والأولياء.

قال - صلى الله عليه وسلم - : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون ».
رواه الحاكم فى مستدركه.
وأوحى الله إلى عيسى - عليه السلام - : « لا يفقد نبى حرمته إلا فى بلده ».

وروى البيهقى أن كعب الأحبار قال لأبى موسى الخولانى : كيف تجد قومك لك ؟ قال : مكرمين مطيعين.
ما صدقتنى التوراة إذًا، وأيم الله ما كان رجل حليم فى قوم قط إلا بغوا عليه وحسدوه.

وأخرج ابن عساكر مرفوعًا : « أزهد الناس فى الأنبياء، وأشدهم عليهم الأقربون ».
وذلك فيما أنزل الله عز وجل : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ }.

وكان أبو الدرداء يقول : أزهد الناس فى العالم أهله وجيرانه، إن كان فى حسبه شىء غيروه، وإن كان عمل فى عمره ذنبًا عيروه. اه

ثم قال الجلال السيوطى المذكور :
واعلم أن ما كان عظيم فى عصر إلا كان له عدوّ من السفلة، لأن الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف :
فكان لآدم عليه السلام إبليس، وكان لنوح يام وغيره، وكان لداود جالوت وأضرابه، وكان لسليمان صخر، وكان لعيسى فى حياته الأولى بختصر، وفى الثانية الدجال، وكان لإبراهيم النمرود، وكان لموسى فرعون، وهكذا إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فكان أبو جهل.

تنبيه :
اعلم أن أكثر العلماء يقولون : أن النفس والروح والقلب بل والعقل شئ واحد، ولكن تختلف بالاعتبار، فإن مالت إلى الذم كانت نفسًا، وإن مالت إلى الكمال كانت روحًا وقلبًا وعقلاً.

(وَالْأَبصَارِ)
جمع بصر، وهو قوة أودعها الله تعالى فى الحدقة تدرك بها الأجسام والألوان والهيآت.
والمراد بتقلب القلوب : اضطرابها من الخوف من الهلاك.
وتقلب الأبصار : اضطرابها من ذلك، بين ناحية اليمين والشمال.
وذلك فى يوم القيامة.

ويحتمل أن المراد بتقلب القلوب : عدم استقرارها على حالة واحدة، ففى الحديث الشريف :
« إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ بِالْفَلاةِ تَعَلَّقَتْ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ».

ولذا قال بعضهم : وما سمى الإنسان إلا لنسيه، ولا القلب إلا أنه يتقلب.

وتقلب الأبصار بمعنى : عدم استقرارها كذلك، بل تارة تنكشف بزوال ظلام الطبيعة، وتارة تنطمس بغلبة ذلك، ولا تزال هكذا مادام هذا العالم الدنيوي موجودًا.
نِعْمَ بصائر الأنبياء ومن داناهم، لم تزل مشغولة بأنوار التجلى على قلوبهم.

(وَيَا مُدَبِّرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَار)
أى : يا من بيده تدبير الليل والنهار، بتعاقبهما على نسق واحد فى الأزمان كلها، فيظلم الليل ويضئ النهار، ويتم الليل وينقص النهار فى الشتاء، ويعكس في الصيف، ويعتدلان فى الخريف والربيع، ويستمّران على ذلك إلى يوم القيامة.

وفى ذلك دلائل على وحدانيته تعالى، إذ لو كان الأمر بتدبير اثنين لأختلفا فى التدبير، واختلف النظام.
قال تعالى : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدتَا } .
وفى هذا التدبير حكم كثيرة، يدركها من فتح الله عين بصيرته.
قال تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }
قال - صلى الله عليه وسلم - : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر ».

قال بعض العلماء : من قام بالليل ونظر الكواكب وحركتها، والسماوات ودورانها، وتفكر فى عجائب خلق الله تعالى، وقال : يا مدبر الليل والنهار٠
فكأنما عبده سنة كاملة، لقوله عليه الصلاة والسلام : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة »٠

ثم إذا تفكر السالك فى تدبير الليل والنهار، اعتبر ذلك فى نفسه، فيتدبر فى إزالة ظلمة القلب بالاشتغال بالطاعة، التى من جملتها الذكر وقراءة الأوراد بإذن مرشد عارف بالله تعالى٠ اه

(خَلِّصْنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالنَّارِ)
وسّط المصنف هذا بين الثناء المتقدِّم والدعاء الآتى، لأن القبر برزخ بين الدنيا والآخرة، ولأن النجاة من عذابه وعذاب النار من أهم المطالب٠
وقدم القبر إما للسجع، أو لأنه أوَّل منزل من منازل الآخرة، ولأن عذابه أشدّ٠

ولذا كان عثمان ابن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ إذا وصف عنده أحوال الآخرة أو النار لا يبكى، وإذا وصف عنده القبر يبكى كثيرًا٠
فسئل عن ذلك، فقال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« إن القبر أوّل منزلة من منزل الآخرة، فإن نجى منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجى منه فما بعده أشدّ منه، طوبى لمن عمَّر قبره قبل أن يدخله »٠

وإذا تفكر السالك فى أحوال القبر حمله ذلك على الأعمال الصالحة، ومداومة الذكر والدعاء٠
وإذا ناجى ربه بقوله : (خَلِّصْنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالنَّارِ)
اعتبر ذلك فى نفسه، فيطلب تخليص قلبه الميت من ظلمة الطبيعة بأنوار الأعمال الصالحة، والرياضة، والمجاهدة، فإذا نجا قلبه من ذلك، تخلَّص للحضور مع ربه، ونجا من كل هول٠

فائدة :
قال سيدى أحمد بن المبارك فى " الإبريز " الذى تلقاه عن شيخه الشيخ عبد العزيز الدباغ :
اعلم ان البرزخ على صورة مخلوق ضيق من أسفله ثم ما دام يطلع فهو يتسع، فلما بلغ منتهاه جعلت قبة على رأسه مثل قبة الفنار، فينبغى أن يمثل بالمهراس الكبير العود، فإن أسفله ضيق ثم جعل يتسع شيئا فشيئا إلى أعلاه، فإذا جعلت قبة فنارعلى رأسه كان مثل البرزخ في الشكل٠

أما فى القدر والعظم :
فإن البرزخ أصله فى السماء الدنيا، ولم يخرج منها إلى ما يليها، ثم جعل يتصاعد عاليًا حتى خرق السماء الثانية، ثم تصاعد حتى خرق الثالثة، ثم تصاعد حتى خرق الرابعة، وهكذا إلى السابعة، ثم إلى ما لا يحصى، وقد جعلت قبته عليه هذا طوله، والقبة هى أشرف ما فيه إذ ليس فيها إلا روح سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ومن أكرمهم الله بكرامته ؛ كأزواجه، وأولاده الذين كانوا فى زمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكل من عمل بالحق من ذرّيته الي يوم القيامة٠
وكذا أرواح الخلفاء الأربعة، وأرواح الشهداء الذين ماتوا بين يديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وورثته الكاملين من أولياء الله تعالى٠

وأما عرض البرزخ :
فحسبك أن الشمس فى السماء الرابع، لا تدور إلا به على هيئة الطائف به فتقطعه فى عام، وكله ثقب بعدد الأرواح، وروحه - صلى الله عليه وسلم - وإن كانت فى القبة لكن لا تدوم فيها، لأن تلك القبة وغيرها من المخلوقات، لا تطيق حمل الروح الشريفة لكثرة أنوارها وأسرارها فيها، وإنما يطيق ذلك ذاته الطاهرة الزكية - صلى الله عليه وسلم - فى البرزخ غير مقيمة فى محل معين.

وهذه الثقب التى فى البرزخ كانت قبل خلق آدم معمورة بالأرواح، وكانت لها أنوار، ولكنها دون الأنوار التى لها بعد مفارقة الأشباح، فلما هبطت روح سيدنا آدم عليه السلام إلى ذاته بقى موضعها خاليًا، وهكذا كلما هبطت روح بقى محلها خاليًا، فإذا رجعت الروح بعد الموت إلى البرزخ، لا ترجع إلى الموضع الذى كانت فيه، بل تستحق موضعًا آخر غيره أعلى إن كانت مؤمنة، وأسفل ان كانت كافرة.

والثقب الخالية تعمر بمخلوقات الله تعالى، وإن كانت الأرواح قبل { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } جاهلة بمراد الله تعالى، فلما أراد الله تعالى أن يظهر لها ما سبق فى علمه تعالى، أمر إسرافيل أن يصعق فى الصور، فصعق فاجتمعت الأرواح، فأسمعها الخطاب القديم الذى لا يكيف، وقال :
{ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ }.

فأهل السعادة : استجابوا مع الفرح والسرور على مراتبهم، فهنالك ظهر تفاوتهم فى الإستجابة، وأختلاف مراتبهم فى المشاهدة، وتبين الشيخ من المريد، وعلم أن فلان متصل بفلان، وفلانًا منقطع عن فلان، وظهر تفاوت الأنبياء واختلاف أممهم.

وأما أهل الشقاوة : لما سمعوا الخطاب تكدّروا والعياذ بالله تعالى، وأجابوا كارهين، ثم نفروا نفرة النحل إذا دخن عليه، فحصل لها ذلة، وانكسفت أنوراهم، وظهر المؤمن من الكافر فى ذلك الوقت. فعند ذلك تعين لكل روح الموضع الذى لها فى البرزخ، وأما قبل ذلك فكانت الأرواح جميعها فى البرزخ.

وكان البرزخ قبل أن ترجع اليه الأرواح من الأشباح قليل الانوار، فلما صعدت اليه روح أبينا آدم عليه السلام بعد مفارقة جسمه الشريف، وأرواح الأنبياء والأولياء من ذريته، كثرت أنواره على التدريج، كما صعدت إليه بالتدريج.

وأرواح الكفار في أسفل البرزخ، وإذا نظرت لمقر أرواحهم، وجدته مظلمًا كالفحم من حال سكانه الكفار، ومن فتح الله عليه وجد قبور الكفار مظلمة، ورأى عمود أزرق ممتدًا ذاهبًا إلى جنهم، بخلاف المؤمنين فإن نورهم ممتدًا ذاهبًا إلى الجنة.

وحُكى : أن رجلاً كان يثقل عليه زيارة الأولياء، فشكا حاله إلى شيخ عارف، فقال له العارف :
إن الولى قد يكون فى حضرة الحق تعالى فلا تكون روحه بأفنية القبر، بل هى فى القبة التى بأعلى البرزخ كما علمت، وقد لا يكون فى الحضرة فتكون روحه بأفنية القبور.
فلعلك إذا جئته تكون روحه فى الحضرة فلا تكون روحه فى قبره، حتى يحصل لك أنس به، وتحصل لك وحشة، ويثقل عليك الحال.

فإن قلت :
إن أسفل البرزخ في سماء الدنيا، فلا تكون فيه إلا إذا فتحت لها أبواب السماء٠
قال تعالى : { لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ }
وأيضا فإن العلماء ذكروا : أن البرزخ للمؤمنين من القبر إلى أعلى عليين، وللكافرين من القبر إلى سجين، وهو أسفل سافلين٠

فالجواب عن ذلك : إن أرواح الكفار فى البرزخ علي قسمين :

قسم محجوب لغلبة الظلام، وسواد الحال، حتى لا ترى الروح ولا تشاهد، كأنها فى حق وسد عليها بالرصاص، وهو حجاب غضب، والعياذ بالله تعالى٠
وقسم غير محجوب ومشاهد، ولكن لا يشهد إلا ما أعدّه الله له من العذاب٠
وكلاً من هذين القسمين فى سخط الله تعالى وعذابه، فهو بمثابة من لم تفتح له أبواب السماء٠

قلت : و يؤيد ذلك اختلاف العلماء فى قوله تعالى : { تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ }
فقيل : لأدعيتهم، بمعنى أنها لا تقبل، وقيل لأرواحهم، بمعنى : أنه لا تفتح لهم كما تفتح لأرواح المؤمنين٠ وانظر البيضاوى٠

فمن قال من العلماء : إن أرواح الكفار فى أسفل سافلين، فيعنى به الجهة من أسفل البرزخ التى تسامت جهة أسفلنا، فكأن البرزخ خرق السموات السبع إلى أعلى عليين، وخرق الأرض إلى أسفل سافلين، فأسفله في سجين تحت الارض السابعة، وأعلاه فى عليين فوق السماء السابعة٠

وأحوال الآخرة مخالفة لأحوال الدنيا، وهذا يوافق أن الجنة فوق السماوات، وجهنهم تحت الأرضين، فأسفله إلى ناحية جنهم، وأعلاه الي ناحية الجنة، فيه أرواح المؤمنين و السعداء٠

وهذا لا ينافى الإختلاف السابق فى فتح أبواب السماء، فإنه لا يلزم من كون البرزخ على هذه الصفة، أن تفتح أبواب السماء لأرواح الكفار٠

وإن من الكفار من إذا مات حبست روحه عن الصعود إلى البرزخ، وسلطت عليها الشياطين والأباليس، الذين كانوا يوسوسون للذات التى كانت فيها فى دار الدنيا، فإذا خرجت الروح منها تلقاها أولائك الشياطين فجعلوا يلعبون بها - والعياذ بالله - لعب الصبيان بالكرة، فيرميها شيطان لشيطان، ويضربون بها الصخور، ويعذبونها بما لا يطاق من عذاب الله تعالى، حتى تفنى الذات التى فى القبر، وترجع ترابا، فعند ذلك تصعد تلك الروح إلى مقرّها في أسفل البرزخ٠
فمن حمل عدم فتح السماء لروحهم على هذا المعنى ونحوه فهو صحيح٠

ثم قال الشيخ الدباغ :
ومن عجيب إرادة الله تعالى أن حجب أرواح الكفار عن الانتفاع بأرواح المسلمين٠
و أما أرواح المؤمنين فينتفع بعضها من بعض، ويسقى بعضها بعضًا، ويشفع بعضها فى بعض، حتى أنك تشاهد فى بعض الأرواح آثار ذنوب مما اكتسبته الذات، وترى تلك الآثار ظاهرة علي الروح، ثم إن تلك الآثار تزول بسبب روح عزيزة عند الله تعالى، قريبة من الروح ذات الآثار، لأن أرواح المؤمنين لها خيوط من نور الإيمان إلى الجنة، فتراه خارجا من روح زيد مثلًا فى البرزخ خارجًا إلى الجنة، فتستمد ذات ذلك الولى من الجنة بسبب ذلك النور٠

بخلاف أرواح الكفار ـ أعاذنا الله منه ـ فتراه خارجًا إلى جهنم، فتستمد أرواح الكفار من سموم جهنم وعذابها٠
وكم مرة أرى قبور ناس فى الجبانة فأرى الأنوار خارجة من الأرض، ذاهبة إلى البرزخ على هيئة القصب الثابت فى الأرض، فأعلم أن أصحاب تلك الانوار من أولياء الله تعالى٠

وإنِي كنت في قبر النبى الشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فوجدت عمود نور ايمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممتدًا من القبر الشريف إلى قبة البرزخ التى فيها روحه الطاهرة، وتطوف بها الملائكة زمرا زمرا، وتتمسح به، فكل ملك عجز عن سر، أو تحمل أمر، أو وقوف فى مقام، فإنه يطوف بالنور الشريف، فيكتسب قوّة كاملة من نوره ـ صلى الله عليه وسلم -فيرجع إلى موضعه، ولا يفرغ من طوافه حتى يجيء جماعة أخرى من الملائكة، كل واحد منهم يبادر الطوف٠ اه
هذا ما قاله الشيخ باختصار٠

ثم قال الشيخ الدباغ، لما سأله تلميذه الشيخ أحمد بن المبارك عن الجنان، وترتيبها، وكيفية وضعها، فقال :
ليس على وجه الأرض، ولا فى مخلوقات الله تعالى شبه بالجنة إلا أن يكون البرزخ فإن له شبهًا بالجنة، والبرزخ لم تشاهده الناس فكيف يصح التمثيل ؟

فقلت له : بناء على أن البرزخ هو الصور سمعنا فى الأحاديث، أنه مخلوق عظيم على صفة القرن الدائر، الواحدة منه قدر السماوات والأرض٠
فقال : نعم وفيه ثقب بعدد الأرواح٠ اه

وذكر فى اليواقيت : أن الصور هو البرزخ الأكبر، وفيه تحبس أرواح الموتى رأسه إلى عليين، وأسفله إلى سجين٠

وما ورد فى الأحاديث من مواضع الأرواح مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - :
« إن أرواح الأنبياء فى جنة عدن تصعد مرّة، وتنحدر أخرى، وتكون فى اللحد مؤنسة لأجسادهم ساجدة لله تعالى، وأرواح السعداء في الفردوس، وأرواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى قناديل معلقة تحت العرش، وأرواح أطفال المسلمين فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك، وأرواح ولدان المشركين فى الجنان، وليس لها مأوى يخدمون أهل الجنة، وأرواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة فى الهواء، ولا تصل إلى الجنة ولا إلى السماء، حتى يرضى الخصماء، وأرواح الفساق المصرِّين على الفسق، تعذب فى القبر مع الجسد، وأرواح المنافقين فى بئر برهوت، وأرواح الكفار فى سجين تعرض على النار غدوًّا و عشيًا »۰

قال العلماء :
وشعب الصور تلاقى هذه الأرواح كلها فى أماكنها من العرش إلى السموات إلى الأرض لعظمها، فالأرواح في الصور فى هذه المواضع التى ورد الحديث بها، وهى فى المعنى محبوسة فى الصور، فإنه يضبطها إلى يوم القيامة، وهذا من علوم الأولياء، وهم يشاهدون ذلك عيانًا فى عصرنا هذا۰

ومثاله أن يقال : فلان بالمشرق، وفلان بالمغرب، وفلان في بغداد، وفلان بمكة، وفلان بالمدينة، وفلان باصبهان، وفلان بمصر، إلى غير ذلك من البلدان، وكلهم فى ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس، فعلى هذا لا تناقض فى الأحاديث۰

فكل من تأمل ذلك علم أن للأموات برزخين، برزخ فى القبور إلى يوم يبعثون، وبرزخ فى الصور، فبرزخ القبور محتبس أجسادهم، وبرزخ الصور محتبس أرواحهم، وهو قوله تعالى :
{ وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ } ۰

ولنرجع لما نحن فيه فنقول : ثم اعلم أن فى كلام المصنف، نشرًا على ترتيب اللف۰
فإن قوله :
(إِلَهِى اسْتُر عُيُوبَنَا)
مناسب لقوله يا ستار، كإنه قال : يا ستار استر عيوبنا، بذيل رحمتك الواسعة فى الدينا والآخرة، وسترها كناية عن رفع العذاب، وعدم اطلاع الخلائق والحفظة عليها۰

(وَاغْفِرْ ذنُوبَنَا) مناسب لقوله يا عزيز يا غفار۰
وقوله :
(وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا) مناسب لقوله يا جليل يا جبار، كأنه يقول يا جليل يا جبار طهر قلوبنا عن منكراتها ومفسداتها، من عجب ورياء وغير ذلك، لأنه لا يقدر على إزالة ذلك إلا من اتصف بالجلال والجبروت، ولكن لابد من ملازمة شيخ عارف مدة طويلة۰

وقوله (وَنَوِّرْ قُبُورَنَا، وَاشْرَحْ صُدُوُرَنَا) مناسب لقوله يا مقلب القلوب والأبصار .
كأنه قال : يا مقلب القلوب والأبصار نور قبورنا بأنوار رحمتك المزيلة لظلمتها ووحشتها، واشرح صدرونا بإفاضة أنوارك المزيلة لوساوس الشيطان عنها.

ويحتمل أن المراد بالقبور : الأجسام.
وتنويرها : بإحياء قلوبهم الميتة فيها بسبب الجهل والغفلة فتكون قبورا بهذا الاعتبار .
والمعنى : نور أجسامنا بإحياء قلوبنا.

وقوله :
(وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا، وَتَـوَفَّنَا مَعَ الأبْـرار)
مناسب لقوله : (ويا مدبر الليل والنهار) استر سيئاتنا بالفضل والمنة، كما سترت الليل بالنهار .

ولا يخفى أن السالك إذا دعا بهذه الدعوات خصوصًا إذا كان مع الإخوان، وكان خالص القلب ترجى الإجابة، ولا ينبغى له استبطاء الإجابة فقد يكون فى تأخيرها خير له، والدعاء مستجاب على كل حال إذا توافرت شروطه، لحديث :
« ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث :
إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن تدخر له فى الاخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها ».

وشروط إجابة الدعاء مذكورة فى شرحنا لورد السحر، وأعظمها أكل الحلال.
قال بعضهم : الدعاء مفتاح الحاجة، وأسنان المفتاح أكل اللقمة الحلال.

ولما كان ينبغى للسالك إذا دعا مولاه، أو عمل عملاً صالحا، أن يعتقد تقصيره فى جنابه تعالى، وإن كان موقنًا باجابة الدعاء، كرمًا منه تعالى، ناسب أن يقول :

(سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ يَا مَعْبُودُ)
أى : نعتقد تنزيهك عن كل نقص، ونعتقد أننا لم نعبدك حق العبادة التى من جملتها الدعاء المذكور، وكذا الذكر والشكر الآتيان لعدم إخلاصنا فيها، ولا يكون لك إلا الخالص من شوائب النقص، ولا يخفى ما فى ذلك من إظهار العجز الموجب للقبول.

(سُبْحَانَكَ مَـا عـرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ يَا مَعْرُوفُ)
لعجزنا عن ذلك إذ المعرفة لا تحصل إلا بفيض إلهى من قبل الهبة.

(سُبْحَانَكَ مَا ذَكَرْنَاكَ حَقَّ ذِكْرِكَ يَا مَذْكُور)
لأن الواجب علينا حضور القلب والإخلاص فى الذكر، وذلك بعيد فى حق أمثالنا، فالمناسب لنا الاعتراف بالعجز، مع المواظبة على الذكر لما ورد فيه من الآيات والأخبار، عن النبى - صلى الله عليه وسلم -.

(سُبْحَانَكَ مَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ يَا مَشْكُور)
لأن حقيقة الشكر، كما قاله سيدى عبد القادر الجيلانى :
الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، ومشاهدة المنة، وحفظ الحرمة على وجه معرفة العجز عن الشكر، ويعتقد مع ذلك أنه لم يأت بالشكر ٠اه

ولأن الواجب علينا الشكر على كل نعمة، وهو غير ممكن لأن نعم الله تعالى لا تحصى، فلا يسعنا حينئذ إلا الاعتراف بالعجز، وهو من جملة الشكر ٠

قال السرى السقطى ـ رحمه الله تعالى- : الشكر هو إقرار العبد واعترافه بأنه عاجز عن الشكر ٠

وروى أن داود ـ عليه السلام ـ قال : إلهى كيف أشكرك، وشكرى لك نعمة من عندك ؟
فأوحى الله إليه : الآن شكرتنى٠
وقال بعضهم :
إذا كان شكرى نعمة الله نعمة *** علىَّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله *** وإن طالت الأيام واتصل العمر

ولما اعترف بالتقصير فى عبادته وذكره وشكره، طلب العفو عن ذلك فضلًا منه ورحمة بقوله :
(فَضْلاً مِنَ الله وَرَحْمَةً)
أى : نرجو من فضله ورحمته العفو عن تقصيرنا، ولما كان العفو عما ذكر من جملة النعم، والشكر على النعم واجب، طلب من الله التوفيق لذلك، فقال :

(شُكْراً مِنَ الله وَنِعْمَةً)
أى : نرجو منه تعالى أن يرزقنا الشكر على النعم الدنيوية والأخروية، وأن يرزقنا نعمة عقب الشكر تستوجب شكرًا آخر، وهكذا٠

وإنما طلب المصنف أن يرزقه تلك النعمة، مع أنها مضمونة لقوله تعالى : { لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } لاحتمال أن يحصل لذلك الشكر عائق شرعى، فلا يكون مستوجبًا لحصول النعمة٠ فكأنه قال :
أطلب منه تعالى شكرًا، وأطلب منه أن يكون ذلك الشكر مقبولًا حتى يترتب عليه ما ذكر ٠

ولما اعترف بأن الفضل والرحمة والنعمة منه تعالى، ومن كان كذلك استحق الحمد والمنة٠
فقال معترفا بذلك :
(لِلهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ)
أى : الثناء بالجميل والمنة مستحقان له تعالى لا لغيره، لأن الفضل والرحمة والنعمة لا تكون إلا منه تعالى، قال تعالى : { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } ٠

ولما كان المستحق للحمد ينبغى أن يحمد فحمده بقوله :

(الْحَمْدُ لله عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّوفيقِ)
الطاعة : فعل المأمورات، واجتناب المنهيات٠
والتوفيق : خلق القدرة على الطاعات٠
وخص ذلك بالذكر لأنهما أشرف النعم وأجلها ؛ لأنهما وسيلتان إلى السعادة الأبدية٠

ولما كان التوفيق من المولى لا يكون الا بطاعته قدَّمها عليه٠
قال تعالى : { إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }
وقال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}
فإن لم يحصل للعبد طاعة حُرم التوفيق٠

ولذا قال سفيان الثورى :
حرمت قيام الليل مدة بذنب وقع منى، قيل : وما هو؟
قال : رأيت رجلا يبكى فقلت فى نفسى هذا مراء٠

وقال يحيى بن معاذ - رحمه الله تعالى - :
أغلق الله باب التوفيق على بعض عبادة بستة أشياء :
أوّلها : تعلموا العلم، ولم يتحلوا به٠
والثانى : أكلوا النعم، ولم يشكروا الله عليها٠
الثالث : صاحبوا الصالحين، ولم يقتدوا بهم٠
الرابع : أذنبوا الذنب، ولم يتوبوا٠
الخامس : دفنوا الأموات، ولم يعتبروا٠
السادس : وزنوا الأموال، ولم يتزوّدوا٠ اه

ولما نسب لنفسه طاعة، وكانت لا تخلو عن نقص، فلا يليق إهداؤها لحضرة الرب إلا بالاستغفار، لعله ينجبر نقصها فتفيد، قال :

(وَنَسْتَغْفَرُ الله الْعَظِيمَ) الذى له القدرة الكاملة فيقدر على المغفرة وغيرها٠
(مِنْ كلِّ ذَنْبِ) كبيرًا أو صغيرًا، نعلمه أو لا نعلمه٠
(عَمْدٍ) وهو : ما قصد فعله مع العلم أنه ذنب٠
(وَسَهْوِ) وهو ما علم أنه ذنب لكن فعله مع الغفلة٠
(وَخَطَأ) وهو ما ظنَّ أنه ليس بذنب ففعله، ثم علم أنه ذنب٠
(وَنِسْيَانٍ) وهو ما علم أنه ذنب ثم نسى ذلك ففعله٠

(وَنُقْصَانٍ وَتَقْصِيرٍ)
وهما : ما يقع فى الطاعات من ترك الآداب، التى من جملتها حضور القلب مع الرب حال فعلها، لأن ترك ذلك يعدّ ذنبًا عند العارفين٠

فينبغي للعبد أن يحضر قلبه فى الصلاة مثلاً مع مولاه القائم بين يديه، ولا يتفكر فى شىء دنيوى أو أخروى٠
قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها »٠
يعنى : لا ثواب له فى صلاته التى لم يحضر قلبه فيها مع ربه لعدم خشوعه فيها٠
ولذا عد بعضهم الخشوع من أركان الصلاة، ولا يمكن ذلك إلا بقطع شجرة حب الدنيا عن القلب، بالمجاهدة والرياضة على يد مرشد عارف٠

ولما كان التوفيق للاستغفار نعمة من الله تعالى ينبغى أن يحمد عليها، أتى بقوله :
(اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوَافِى) بسكون الياء، أى : يقابل٠
(نَعَمَكَ) الأصلية كنعمة الوجود من العدم٠
(وَيُكافِئُ) أى : يساوي ويماثل، وهو يرجع لمعنى الموافاة فالتعبير به للتفنن٠
(مَزِيدَك) أى :نعمك الزائدة، وهى ما عدا الأصلية، كنعمة ؛ السمع والبصر ٠

ثم حمده ثانيًا بالجملة الفعلية فقال :
(نَحْمَدُكَ بِجَمِيعِ مَحَامِدِكَ)
أي لو فرض أن فى قدرتنا ذلك، أو أنه قال ذلك فى حالة الإستغراق، وهيجان نار المحبة الالهية، و العاشق يتكلم بما لا يمكن، فلا ينافى ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »٠

قال فى الكبريت الأحمر للشعرانى نقلًا عن الشيخ الأكبر :
وقد بلغنى أن العصفور المسمى " بالخطاف " قال لزوجته حين راودها عن نفسها، وهو فى قبة سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ :
لقد بلغ بى من حبى لك أن لو قلتِ لى اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك، فأرسل سليمان بمجيئه بعدما سمع منه ذلك، وقال : ما حملك على هذا القول الذى تعجز عنه ؟
فقال :
مهلاً يا نبى الله، إن المحبين يتكلمون بلسان المحبة والعشق، لا بلسان العلم والعقل٠
فضحك سليمان من قول الخطاف، ولم يعاقبه٠ اه٠

ثم قال الشعرانى المذكور :
قلت : وفى ذلك عذر عظيم لنحو ابن الفارض وأضرابه في تغزلاتهم، فلا ينبغى إقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم، لأنهم تكلموا بلسان العشق فافهم، وسلم تسلم٠ اه

(مَا عَلِمْنَا مِنْهَا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ)
أى : نثنى عليك بجميع ما نعلم من افراد الثناء، وبجميع ما لم نعلم، أى : لو فرض إنا علمناه لأثنينا عليك به٠

ثم أعقب الحمد بالشكر لمناسبته له، فقال :
(وَنَشْكُرُكَ عَلَى جَمِيعَ نِعَمِكَ مَا عَلِمْنِا مِنْهِا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ)
نص على النعم هنا دون ما قبله، لأن الشكر لا يكون إلا فى مقابلة نعمة، بخلاف الحمد فإنه أعم٠

ثم عمم الشكر فقال : (وَ) نشكرك (عَلَى كُلِّ حَالٍ)
أى : من نعمة أو شدّة، لأنه كما يشكر على النعمة، يشكر على الضر لصدور ذلك من المحبوب٠

ولما ذكر الحال ناسب أن يطلب تحويل حال السيئة إلى حسنة، فقال :
(يَا مُحَوِّلَ الحَالِ حَوِّلْ حَالَنَا إِلَى أَحْسَنِ الْحَالِ) بأن تنقذنا من ظلمة الجهل إلى نور الكمال٠

ولما أثنى عليه تعالى بصيغ خاصةو أتى بأذكار خاصة، ورد فى فضلها آثار أنها سبب للحفظ من الوقوع فى المهالك٠

فقد روى مرفوعًا : « أنه إذا كان يوم القيامة سئل بنو آدم عشرة آلاف سؤال، فى عشرة آلاف موطن، من قرأ كل يوم هذه الكلمات العشر، عقب كل فرض نجا من سكرات الموت وأهواله، إلى غير ذلك من الأخبار »٠

فقال :
(أَعْدَدْتُ) أى : هيأت، يقال أعددت السلاح إذا هيأته لنحو اللصوص القاطعين للطريق٠
والمراد : أعددت أى : أصلحت هذه الاذكار لمدافعة لصوص الشياطين القاطعين عن طريق الله تعالى، ومدافعة النفس المعينة لهم الموقعة فى الهلاك، وهى حاجبة عن الله تعالى، وداعية للغفلة٠

(لِكُلِّ هَوْلٍ لا إِلِهَ إِلا اللهُ)
يعنى : خوف الآخرة أو الدنيا ؛ كالخوف من سلب الإيمان، أو الشك فيه، نعوذ بالله من ذلك، ولا ينجى من ذلك إلا كلمة التوحيد، أى : اعتقاد مضمونها، والمواظبة على ذكرها على يد شيخ عارف نصوح٠

(وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ) بكسر النون عبارة عن كل ما ينتفع به، وبفتح النون التنعيم، وبضمها المسرة، وقد يكون من النعم ما لا يرضى به المحبوب، كما قيل :
إذا كان المحب قليل الحظ * فما حسناته إلا ذنوب

(الْحَمْدُ للهِ) أى : أثنى عليك الثناء الجميل فى مقابلة كل نعمة، ولو باعتبار ما يترتب عليها فى الدار الآخرة، فيشمل البلايا الدنيوية إذا حصل الصبر عليها، واعتقد كونها من عند الله تعالى وبتقديره٠

(وَلِكُلِّ رَخَاءٍ الشُّكْرُ لله)
الرخاء بالمد والفتح : سعة العيش وحسن الحال، وبالضم الريح اللينة.
قال فى المصباح : ورخى ورخو من باب تعب وقرب، ورخاوة بالفتح إذا لان، ولسعة العيش رخى رخاوة اتسع فهو رخىّ على فعيل، والاسم الرخاء، وزيد رخىّ البال، أى : من نعمة و خصب. اه

وقال فى المختار : ورجل رخى البال، أى : واسع الحال، بين الرخاء بالمد، ورخاء بالضم أى : والمد الريح اللينة، والأظهر الفتح فى المعنى، ولكن الرواية الضم، وكأنه مجاز عن الرخاء بالفتح، كما فى قوله :
إذا هبت رياحك فأغتنمها * فعقبى كل خافقة سكون

(وَلِكُلِّ أُعْجُوبَةٍ سُبْحَانَ الله)
الأعجوبة بالضم : كل ما تستغربه العقول، وتعجز عن إدراك وجهه، ولا تتصوّره قبل رؤيته، وخص سبحان الله بذلك ؛ إشارة إلى تنزهه تعالى عن العجز عن إدراك كل ما تعجز عنه عقولنا لإنه منشئ العجائب فكيف لا يدركها.

وقيل المعنى : إنه تنزه عن أن يوجد شيئًا تستغربه العقول التامَّة، والأذواق السليمة، أى : لا تدرك حكمته.
وارتفع التعجب فيه فناسب أن يقول سبحان الله دون غيره من الأذكار.

(وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ الله)
(وَلِكُلِّ مُصِيبَةٍ إِنَّا لله) أى : وإنا إليه راجعون، واقتصر المصنف على ذلك مراعاة للسجع.
والمصيبة : كل ما يؤذى المؤمن فى بدنه أو ماله.

فقد روى عن عكرمة أنه قال :
طفئ سراج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون.
فقيل : يا رسول الله أهو مصيبة ؟
قال : نعم، كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة.

قال المفسرون : لم تعط أمّة من الأمم { إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } عند المصيبة، إلا أمّة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
ألا ترى أن سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ حيث أصابه ما أصابه، قال : يا أسفى على يوسف، ولم يسترجع.
وقد مدح المسترجعين بعد المصيبة، فى قوله تعالى : { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }.

(وَلِكُلِّ ضِيقٍ حَسْبِيَ الله) أى : ونعم الوكيل.
والضيق : كل كرب، وصعوبة على العبد فى الدنيا والآخرة.

(وَلِكُلِّ قَضَـاءٍ وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلَى الله) أى : فوضت أمرى إليه تعالى.
قال بعضهم : التوكل طرح البدن فى العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، وغض البصر عن الدنيا، وقطع القلب عنها، وأن لا تطلب لرزقك خازنًا غير الله تعالى.

قال سهل بن عبد الله - قدس سره - : علامة المتوكل على الله تعالى :
أن لا يسأل أحدًا من خلقه حاجة إلا عند الضرورة، ولا يردّ شيئًا جاءه،.
لحديث : « ما أتاك من غير سؤال فخذه ».
فإنما هو رزق رزقه الله تعالى، ولا يحبس ما حصل بيده حرصًا عليه لمنافاته التوكل. اه

وقال أبو الحسن الشاذلى - رضى الله تعالى عنه - :
أوَّل مقام التوكل أن يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء. اه

(وَلِكُلِّ طاعَةٍ وَمَعْصِيةٍ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ)
أى : لا تحول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قدرة على طاعته إلا بتوفيقه.

(وَلَكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ مَا شَاءَ الله) الهمَّ بالفتح : الحزن، قال فى المختار : الهمَّ : الحزن، والجمع الهموم، وأهمه المرض : أذابه، وبابه رد. اه

والغم واحد الغموم، قال فى المختار : تقول غمَّه فاغتم، وتقول غمَّه أغاظه فأغتم، والغمة : الكربة. اه
فعلم من ذلك أن الهم والغم مترادفان.
وفرق بعضهم بينهما : بأن الهمَّ من النفس، والغمَّ من القلب، وأن الهم سهل الزوال، بخلاف الغم فإنه يعسر زواله عادة.

وإنما عدد هذه الأذكار كما ذكر لأنه :
(لَنْ يَغْلِبَ اللهَ شَيْءٌ) من أمور الدنيا والآخرة.
(وَهُو] بل هو (غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ).

وإذا كان غالبًا فينبغى للعبد أن يرجع إليه فى كل أموره، فلذا قال :
(حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى) أى : كفانى ناصرًا، ومعينًا على أمورى الدنيوية والأخروية.

(سَمِعِ الله لِمَنْ دَعَا) أى : طلب منه شيئًا، ومنه ما ينشأ عن تلك الأذكار، وإذا كان سامعًا له فيجيبه لما سأله، إما بعين ما سأل، أو بغيره كما مر، فإن فضله عظيم، وجوده عام لا نهاية له.

فلذا قال :
(لا غَايَةَ لَه) أى : لا فراغ لفضله واعطائه.
(فِى الآخِرَةِ والأوُلَى) بل هو المعطى فيهما بلا غرض ولا عوض، لأن فيوضاته لا تنقطع عن خلقه طرفة عين.

ولما أفاد اتصافه تعالى بغاية الكمال، ناسب أن يكرر الثناء عليه، بقوله :
(لا إِلَه إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ أَبَدَا)٠
يطلق الأبد بمعنى الدهر، وبمعني الدائم، والمراد هنا الثانى، وإنما سمى نفسه بالدهر فى قوله - صلى الله عليه وسلم- : « إن الله يقول أنا الدهر »٠
مع أن الخلق لا يتعقلون الدهرإلا زمانا٠

فالجواب كما قاله سيدى محيى الدين ابن العربى - رضى الله تعالى عنه - :
أن المراد بالدهرهنا هو : الأزل والأبد اللذان هما الأوَّل والآخر، وهما من نعوت الله تعالى بلا شك، فإنه تعالى سمى نفسه بالأوَّل، لكن لا بأولوية تحكم عليه، والآخر لا بآخرية تحكم عليه أيضًا٠ اه

فقوله (دَائماً) تفسير له٠
قال فى المختار : الأبد بمعنى الدهر، وبمعنى الدائم، والجمع آباد، ثم قال : والأبد أيضا الدائم٠ اه

وقوله : (صَمَداً) حال، أى : مصمود إليه فى الحوائج٠
قال السرى السقطى : الصمد المصمود إليه فى الرغائب، المستغاث به عند المصائب٠ اه٠

وقوله : (بَاقِياً) حال أيضًا، لازمة لاستفادة معناها مما قبلها٠
(بِيَدِه) أى : قدرته (الْخَيْر) أى : والشر، واقتصر على الأول لمراعاة الأدب فى الخطاب٠

(وَإليهِ الْمَصِيرُ) المرجع فى الدار الآخرة٠
(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَئْ) أى ممكنٍ (قَدِير) أى قادر، ومنه تحويل حال تالى الورد إلى حال أكمل منه٠

ولما أثنى عليه تعالى بما ذكر، ربما خيلت له نفسه أنه قد أثنى عليه بما هو أهله، دفع ذلك اقتداء به - صلى الله عليه و سلم - فى قوله :
(لا أُحْصِى ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ) توكيد لما قبله، أى : لا أقدر أن أعد وأضبط الثناء عليك بما يليق بجلالك، وعظيم سلطانك٠
(كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِك)
وإذا كان رسولك المقرَّب المعظم يعجز عن ذلك، فأنا أعجز٠

ثم علل ذلك بقوله :
(عَزَّ جَارُكَ) يطلق الجار على معان : منها المجاور فى السكن٠
والمراد به هنا : المنتمى إلى الشيء، والمنتسب إليه٠
أى : عظم ما انتسب إليك من صفات الكمال، فلا يقدر أحد على الإحاطة بها من كل وجه حتى يأتى بثناءات تليق بها٠

(وَجَلَ ثَنَاؤُكَ) أى : عن الإتيان به على وجه ينبغى لعظيم سلطانك٠
(وَلا إِلهَ غَيْرُكَ) يشاركك فى صفات الكمال اللائقة بالإله٠

ثم ذكر بعض الثناءات التى أثنى الله تعالى بها على نفسه، بقوله :

(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)
أى : ظهر فيه واستولى عليه بالتدبير، وجراء الأحكام منه والتقادير، وإنزال الأسباب منه على ترتيب ومقادير حسبما تعلقت به مشيئته، وخص بذلك لأنه أعظم الأجرام٠

(لَهُ مَا فِى السَّمواتِ) من ملائكة وغيرهم (وَمَا فِى الأرْضِ) من أنس وغيرهم٠
(وَمَا بَيْنَهُمَا) من سحاب وهواء وغيرهما [وَمَا تَحْتَ الثَّرَى] من سائر طبقات الأرض وما فيها، والثرى هو : الطبقة الترابية منها، وهى آخر طبقاتها٠

قال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ : ما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله تعالى٠ اه

ولما كان كل ذلك من خلق السماوات والأرض، وغيرهما دالاً على قدرته تعالى ، وهى تابعة للإرادة الإلهية، وهى لا تنفك عن العلم أعقب ذلك بإحاطة علمه، بالجليات والخفيات بقوله :

(وَإِنْ تَجهَرْ) تعلن (بِالْقَوْل) أى : بذكر الله، ودعائه٠
(فَإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ] أى : فالله غنى عن جهرك فإنه يعلم السرّ : وهو ما يكتم فى النفس من الحديث، وعند العارفين باطن الروح، وهى الحقيقة القابلة للتجليات، ومحل المشاهدات، وأصل مجتمع الأنوار الربانية المودعة فى الذوات الإنسانية٠اه

وقال الامام الشاذلى ـ قدس سره ـ :
السر : هو الذى لا يطلع عليه ملك ولا شيطان، ولا تحس به النفس، ولا يشاهده العقل، وهو فى إضمار لم تحوه الهمم، وهو فى لب لباب القلب من حقائق حضرات الإلهام، كشرار النار الكامن فى الشجر الرطب، فإذا أراد الله اظهاره انتقل إلى الأحوال٠ اه

(وَأَخْفَى) هو باطن السرّ فلا يطلع عليه أحد، ولا يعلمه إلا الله تعالى٠
قال ابن الفارض :
أخفيتُ حبَّكمُ فأخفاني أسىً * حتى لعَمرى كِدتُ عنى أختَفى
وكَتَمْتُهُ عَنّى فلو أبدَيْتُهُ * لَوَجَدْتُهُ أخفى منَ اللُّطْفِ الخَفى

إذ اللطف الخفى : هو التوفيق الذى يخلقه الله فى العبد من حيث لا يشعر٠
وقوله " كدت عنى أختفى " : إشارة إلى مقام الفناء بالله تعالى، فإنه تعالى إذا ظهر للعارف أخفاه عن بشريته، فلا يجد غير الله تعالى٠

وقال بعض العارفين : أخفى فعل ماض٠
أى : إنه تعالى يعلم أسرار العباد، وأخفى سره عنهم٠

وهذا أى : قوله :
(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) تنبيه على أن مشروعية الذكر، والدعاء، والجهر فيهما ليس لإعلام الله تعالى، بل لتصوير النفس بالذكر، ورسوخه فيها، ومنعها عن الاشتغال فيه بغيره، وهضمها بالتضرع والصياح٠

ولما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الإلوهية، بين أنه المنفرد بها المتوحد بمقتضاها، فقال :

(الله لا إِلهَ) معبود فى الوجود بأسرها (إلا هُوَ) الخالق القادر العالم٠
(لَهُ الأَسْمَاءُ) جمع اسم من السموّ، وهو العلو لأنه يعلو مسماه، أى يعينه فى الفهم، ويصوره فى الخيال، ويحضره فى النفس، ويدبره فى الفكر، ويحفظه فى الذكر، ويوجده فى العقل٠

وهو عين المسمى عند أكثر الصوفية وبعض المتكلمين، فإنك إذا جهلت المسمى تعرفه بالاسم، ونسبة الاسم من المسمى نسبة الظاهر من الباطن، فهو بهذا الاعتبار عين المسمى كما علمت٠ قاله الجيلى٠اه

قال سيدى محيى الدين بن العربى فى " الفتوحات " فى الباب الثانى والأربعين وثلثمائة :

مما يؤيد أن الاسم عين المسمى، قوله تعالي : { ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّ } فجعل اسمه تعالى عين ذاته٠
كما قال : { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا }
ولم يقل ادعو بالله، ولا بالرحمن، فجعل الاسم هنا عين المسمى، فلو لم يكن الاسم عين المسمى فى قوله : { ذَٰلِكُمُ اللَّهُ } لم يصح قوله ربى٠

ثم قال : ومما يدل على ذلك أيضًا، حديث مسلم مرفوعًا :
« أنا مع عبدى إذا ذكرنى، وتحركت بى شفتاه »٠
فإنه تعالى جعل اسمه على ذاته، إذ الذات لا تتحرّك بها الشفتان، وإنما تتحرَّك بالاسم الذى هو اللفظ٠اه

(الْحُسْنَى) تأنيث الأحسن، صفة كاشفة لا مقابل لها، وهى قديمة باعتبار التسمية بها، وليست من وضع الخلق، بل سمى ذاته تعالى بها أزلًا وأبدًا٠

وأسماؤه تعالى كثيرة : قيل ثلثمائة، وقيل ألف وواحد، وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، على عدد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام -، لأن كل نبى تمده حقيقة اسم خاص به مع إمداد بقية الأسماء له لتحقيقه بجميعها، وقيل ليس لها حد و نهاية٠

وإليه ذهب ابن عباس - رضى الله تعالى عنها -، ولا يعارض ذلك حديث :
« إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة »٠

لأنه إنما اقتصر عليها لكونها أشرف الأسماء، وأبينها معانى، وأظهرها٠

أو لأن محط الفائدة قوله : « من أحصاها دخل الجنة »، فجعل هذا الثواب للتسعة والتسعين، لايقتضى نفى غيرها، بل يجوز أن يكون ثم غيرها، ولا علم لنا به، أو علمنا به وليس له هذا الثواب٠

والمراد بإحصائها :
القيام بها, والعمل بمقتضاها ؛ بأن يثق بالرزق عند ذكر اسمه الرزاق، ويعلم أن الخير والشر منه تعالى عند ذكر اسمه الضار، فيشكر الله على النفع، ويصبر على الضر، وهكذا٠

وقيل التخلق بمدلولاتها التى يمكن التخلق بها ؛ بأن يتخلق بالحلم الدال عليه الحليم، والكرم الدال عليه الكريم، وهكذا٠

وأما ما لا يمكن التخلق به : كالأحدية والهوية والغنى عن العالمين ؛ لأن هذة الأمور من خصائص الحق تعالى، فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق، لا عيانًا ولا نظرًا عقليا٠اه

وقيل معنى إحصائها : معرفة معانيها، وقيل : حفظها على قلبه٠
ويدل له رواية : « من حفظها دخل الجنة » بدل أحصاها، وقيل : ذكرها، وقيل غير ذلك٠

(فَادْعُوهُ بِهَا) أى : اطلبوا منه منه ما تريدون، متوسلين إليه بذكر تلك الأسماء٠
(صدَقَ اللهُ العَظِيمُ) فى وعده للداعى بحصول مطلوبه٠

واعلم أنه وقع فى الترمذى وغيره، فى عدد التسعة والتسعين اختلاف، وتقديم، وتأخير، فلذا رجح الحفاظ أن سردها إنما هو من الراوى، وتسامح قوم فى حمل ذلك على الرفع، وقالوا : يقبل فيها خبر الواحد لأن تلاوتها عبادة وعمل٠

ولهذا ذكر المصنف بعض أسماء، لم تسمع فى الرواية المشهورة لورودها فى رويات أخر٠
فقال :
(هُوَ الله الَّذى لا إِلَه إِلا هُوَ)
افتتح المصنف باسم الجلاله، لأنه اسم جامع لمعانى جميع الأسماء وحقائقها٠
ومدلوله : ذات المعبود بحق، الغنى عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، الموصوف بصفات الإلوهية٠

وخاصيته : أن من داوم على ذكره كل يوم ألف مرّة بصيغة " يا الله يا هو " رزقه الله كمال اليقين٠

ومن تلاه يوم الجمعة : قبل الصلاة على طهارة، ونظافة ثوب خاليًا من الشواغل مائة مرّة، يسَّر الله له مطلوبه، وإن كان ما كان٠

وإذا تلاه مريض : قد أعجز الأطباء علاجه ، ودعا الله تعالى به، برئ باذن الله ما لم يحضر أجله٠

(الرَّحْمنُ)
هو المحسن أو مريد الإحسان، من الرحمة التى هى : البرّ والإحسان.
وخاصيته : صرف المكروه عن ذاكره، يذكره مائة مرّة بعد كل صلاة، يخرج الغفلة والنسيان من القلب بإذنه تعالى.

(الرَّحِيمُ)
من الرحمة أيضا، قيل : أنه أبلغ من الرحمن فى الصيغة.
وقيل : الرحمن أبلغ لأن الرحمة المأخوذة منه تعم المؤمن والكافر، وغيرهما من الحيوانات.
والمأخوذة من الرحيم تختص بالمؤمنين.
قال تعالى : { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }

وذلك أن إمداد الكافر زيادة عقوبة له.
قال تعالى : { إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا } فهو محنة.
وإمداد المؤمن زيادة فى ثوابه فهو رحمة فى حقه، ويستويان فى الإيجاد من العدم، إذا لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وإن كان مظهرهما.

والتقرّب بهذا الأسم إلى الله تعالى : هو التخلق به من إغاثة المساكين الملهوفين، والرأفة بعباد الله أجمعين طائعهم وعاصيهم.

ولذا قال بعض العارفين :
ارحم بنىِّ جميع الخلق كلهم * وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
ووقر كبيرهمو وارحم صغيرهمو * وراع فى كل خلق حق من خلقه

وخاصيته : أنه يرقق القلب فيرحم نفسه بالطاعة، ويرحم خلق الله تعالى بالشفقة عليهم كما علمت.
ومن خاف الوقوع فى مكروه : ذكره والذى قبله مائة مرّة أو حمله.

(الْمَلِكُ)
أى : من له الملك، وهو المتصرف فى المخلوقات بالتدبير دون احتياج ولا حجر عليه، مع العظمة والجلال.
وخاصيته : أن من واظب عليه عند الزوال كل يوم مائة مرة، صفا قلبه وزال كدره.
ومن قرأه : بعد الفجر مائة وعشرين مرَّة، أغناه الله تعالى من فضله، إما بأسباب أو بأبواب.

(الْقدُّوسُ)
من القدس، وهو : الطهارة، والتقديس : التطهير، ومنه الأرض المقدَّسة.
والمراد به : المنزه عن النقائص والآفات، باستحقاق نعوت الكمال.

وإنما ذكر هذا الاسم بعد اسمه الملك، لما يعرض للملوك من تغيير أحوالهم بالجور، والظلم والإعتداء فى الأحكام، وفيما يترتب عليها، فأفاد إنه تعالى لا يعرض لملكه ما يعرض لملك من الملوك.

والتقرّب بهذا الاسم تخلقًا وتعلقًا : أن تنزه عقائدك عما سوى الله تعالى تنزيها٠
وخاصيته : أن يكتب سبوح قدّوس رب الملائكة والروح على خبز عقب صلاة الجمعة، فمن أكله فتح الله عليه باب العبادة، وسلمه من الآفات، وذلك بعد ذكر عدد الاسمين بالجمل على الخبز٠

(السَّلامُ)
أى : ذو السلامة من النقائص، أو المسَلِّم للمؤمنين من العذاب، أو المسلم عليهم فى الجنة٠
والتخلق بهذا الاسم : أن يسلم المؤمنين من لسانه ويده٠

وخاصيته : صرف المصائب والآلام، حتى أنه إذا قرئ على مريض مائة وإحدى وعشرين مرّة، برئ بفضل الله تعالى ما لم يحضر أجله، هكذا قال بعضهم٠

قال الأستاذ شيخ العارفين الشرقاوى نفعنا الله بأسراره :
والمحفوظ عن مشايخنا أنه يقرأ مائة وستة وثلاثين مرة، برفع صوت بحيث يسمعه المريض، مع رفع يده على رأس ذلك المريض، فإنه يحصل له العرق٠ اه

(الْمُؤْمِنُ)
أى المصدِّق لأصفيائه بإظهار المعجزات، والكرامات الدالة على صدقهم، أو المصدق لنفسه إنه صادق فى وعده٠

والتخلق بهذا الاسم : أن تكون صادقًا فى وعدك فلا تخلفه٠
ومن خواصه : أن يذكره الخائف ستة وثلاثين مرّة، يأمن على نفسه وماله٠

قال سيدى عبد القادر الجيلانى، أفاض الله علينا مدده الرحمانى :
اعلم أن المشابهة فى الأسماء لا تقتضى المشابهة فى الذوات، قيل ينادى غدًا فى القيامة منادٍ : أن كل من تسمى باسم نبى من الأنبياء فليدخل الجنة، فبينما أقوام لم توافق أسماؤهم أسماء الأنبياء، فيقول الله تعالى لهم : أنا المؤمن، وأنا سميتكم المؤمنين فيدخلهم الجنة٠

(الْمـُهَيْمِنُ)
قيل : هو الحافظ، وقيل : الرقيب البالغ فى الحفظ والمراقبة، وقيل : الشهيد٠
والتقرّب به : أن تكون مهيمنًا له على نفسك بأن تحاسبها، وتراقبها فى كل الأمور لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية٠
وخاصيته : أن من قرأه مائة مرّة بعد الغسل، والصلاة فى خلوة مع جمع حواسه، وتوجهه إلى الله تعالى، طهر الله ظاهره وباطنه ٠

(الْعَزِيزُ)
أى : القوىّ الغالب من العزة، وهى القوّة والغلبة.
وقيل : هو الممتنع عن الإدراك المرتفع عن أوصاف المخلوقين، وهو العزيز الدائم، كما قيل :

اجعل بربك شان عزك * يستقر ويثبت
فإن اعتززت بمن يمو * ت فإن عزك ميت

قال تعالى : { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } .

قال الجيلى : العزيز هو الذى جلت مكانته فلا يذل، وبعد عن الأفهام فلا يدرك، واستغنى بذاته فلا يحتاج إلى غيره، وهذا الاسم اسم صفة، وصفته العزة، وهى : عبارة عن تجل تظهر فيه الكمالات الإلهية بمقتضى الكبرياء والمجد. اه

وخاصيته : وجود العز والغنى صورة وحقيقة، فمن ذكره إحدى وأربعين مرّة، أغناه الله تعالى وأعزه، فلم يحوجه إلى أحد من خلقه.

(الْجَبَّارُ)
من الجبر بمعنى الإصلاح، يقال : جبرت العظم جبرًا أصلحته.
فالجبار: هو الذى يجبر أحوال خلقه، أى : يصلحهم.

وقيل : من الإجبار بمعنى إنفاذ الحكم على العباد قهرًا.
وخاصيته : الحفظ من الجبابرة، يذكر بعد قراءة المسبعات العشر صباحًا ومساءًا، إحدى وعشرين مرّة.
ويذكر كل يوم صباحًا ومساءًا، مائتين وست عشرة مرة، للأمن من قهر الجبابرة.

(الْمُتَكَبِّر)
قيل التكبر والكبرياء : إخبار عن استحقاقه لنعوت الجلال، وصفات الكمال.
والتكبر فى صفة الخلق مذموم لأنه محل للنقص، فمن تكبر منهم تكلف أن يتصرف بغير ما يليق به.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله يقول الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى فيهما قصمته ولا أبالى » .
وهما بمعنى واحد، لكن المراد بالأوّل فى الحديث الأوصاف الظاهرة، وبالثانى الباطنة، لمناسبة الإزار والرداء.

وهو اسم جامع لمعانى التنزيه، فمن عرف علوه وعظمته وكبرياءه، لزم طريق الذل والانكسار.
ولذا قيل : هتك ستره من جاوز قدره.
وقال ـ صل الله عليه وسلم ـ : « رحم الله امرأ عرف قدره فلم يتعدّ طوره ».

والتخلق به : هو السكون تحت جريان الأحكام، والوقوف عند موراد التعظيم بإظهار العبودية، والقيام بحقوق الربوبية.
ومن خواصه : أن من ذكره عشر مرّات ليلة زفاف زوجته عند دخوله عليها، وقبل أن يواقعها رزقه الله ولدًا صالحًا منها.

(الْخَالِق) هو موجد الكائنات وممدَّها.

(الْبَارِئُ) هو المهيئ كل ممكن لقبول صورته، وقيل هو الذى يخلق الخلق، بريئًا من التنافر المخلِ للنظام.

(الْمُصَوِّرُ)
هو المعطى لكل مخلوق صورته على ما تقتضيه حكمته الأزلية فى سابق علمه، فهو من معنى اسمه الحكيم، لأن التصوير جعل الشيء على صورة، فالله تعالى برأ العبد وصوَّره، ولم يكن شيئًا مذكور، وكيف لا يتواضع من يعلم أنه فى الابتداء نطفة قذرة، وفى الانتهاء جيفة منتنة، وفى الحال أسير شبعه وجوعه، وكيف يزهو من ضجيعه كنيف فى قميص، ورجيعه قيء قذر.

فائدة :
قال الشعرانى فى " اليواقيت والجواهر" فى المبحث الواحد والعشرين :
(فان قلت : فهل الملائكة الموكلون بالأرحام، ويتولون تصوير الأجنة هم أعوان عزرائل أو إسرافيل ؟
فالجواب :
هم أعوان اسرافيل - عليه السلام - الموكل بالصور، وأما هو - عليه السلام - فإنما هو ناظر إلى صور الخليقة المصورة تحت العرش.
فإن فى الحديث : « أن لكل ما خلق الله صورة مخصوصة فى ساق العرش، أظهرها الله تعالى قبل تكوينهم، ثم أنه لصور بنى آدم تشابه وتشاكل فى الخليقة، لأنهم على صورة أبيهم آدم، وآدم هو كذلك فى الصور التى تحت العرش ».

وإليه الإشارة بقوله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله خلق آدم على صورته ».
وفى رواية أخرى : « على صورة الرحمن ».
ومعناه : على الصورة التى صوَّرها الرحمن فى العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام، فإن الحق تعالى لا صورة له، لمباينته لخلقه، فافهم.

فعلم من ذلك :
أن إسرافيل ناظرًا إلى الصور المنقوشة فى العرش، وملك الأرواح عند تصوير الجنين ناظرًا إلى إسرافيل، وتلك الصور كلها حكاية عما فى علمه الأزلى سبحانه وتعالى.

فيأخذ اسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله تعالى لتلك الذرة المخلقة، ثم يلقيها إلى ملك الأرحام، وملك الأرحام يلقيها إلى الجنين فى الرحم، فيصوره بتلك الصورة المعينة۰

وإلقاء الصورة إنما يكون بإلقاء نسختها التى تليق بها، وإنما أضاف تعالى التصوير فى الأرحام إليه، بقوله : { هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ }
لأن هذه الأسباب مقدّرة على قضية علمه وتدبيره، إجراء للعادة الحسنى، فهو تعالى مصور للصور، ومصور مصوريها، لا خالق سواه تعالى، ولا مصور إلا هو، ولذلك شدد الوعيد على من اتخذ الأصنام، والله أعلم) ۰ اه

وخاصية اسمه تعالى الخالق : أن يذكر فى جوف الليل ساعة فما فوقها، يتنور قلب ذاكره ووجهه۰

وخاصية البارئ : أن يذكر سبعة أيام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات، حتى من تعدى عليه التراب فى القبر۰

وخاصية اسمه المصوِّر : الإعانة على الصنائع العجيبة، وظهور الثمار ونحوها، حتى إن العاقر إذا ذكرته فى كل يوم إحدى وعشرين مرة، على صوم بعد الغروب، وقبل الإفطار سبعة أيام، ويكون فطرها على الماء، زال عقرها، وتصور الولد فى رحمها بفضل الله تعالى۰

(الْغَفَار)
هو كثير المغفرة لعباده، والغفر : الستر على الذنوب، وعدم المؤاخذة عليها۰
والتخلق به : أن يكون غفارًا للمسيئين بحيث لا يطالبهم ولا يحتقرهم۰
وخاصية هذا الاسم : أن من ذكره عقب صلاة الجمعة مائة مرة ظهرت له آثار المغفرة۰

قال الجيلى : " من أسمائه تعالى الغافر والغفور والغفار، فالغفور للمبالغة، والغفار أبلغ۰
وأصل الغفر : الستر والتغطية، فالمغفرة من الله ؛ ستره للذنوب وعفوه عنها بفضله ورحمته، لا بتوبة العباد وطاعتهم۰
وفى الخبر :
« عبدى لو أتيتنى بقراب الأرض ذنوبًا، لأتيتك بقراب الأرض مغفرة، ما لم تشرك بى شيئًا » ۰اه

(الْقَهَّارُ)
هو الذى له الغلبة التامة على كل ممكن، قال تعالى : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }
فما من موجود إلا وهو تحت قهره۰
والتخلق بهذا الاسم : أن يقهر نفسه وشيطانه بإسقاط التدبير، والرجوع إلى الواحد القهار، بالاستسلام فى كل جليل وحقير۰
وخاصيته : إذهاب حب الدنيا، وعظمة كل ما سوى الله تعالى من القلب، فمن أكثر من ذكره كان له ذلك، وظهر له آثار النصر على عدوُّه بقهره۰

(الْوَهَّابُ)
هو المعطى من غير مقابل، ومن غير سؤال٠
والتخلق به : أن تكون وهاباً للعباد ما يحتاجون إليه، شاكرًا لنعمه تعالى، كثير الحياء من الله تعالى، وأن تصرف ما وهبك فيما أمرك٠
وخاصيته : حصول الغنى والقبول والهيبة والإجلال لذاكره٠
ومن داوم عليه فـى آخر سجود صلاة الضحى أربعة عشر مرة كان له ذلك٠

(الرَّزَّاقُ)
أى خالق الأرزاق وأسبابها٠
وقيل : هو الذى يمد بفضله كل كائن بما تحفظ به مادته وصورته ؛
فيمد العقول بالعلوم، والقلوب بالفهوم، والأرواح بالتجليات والمشاهدات، ويمد الأجسام بالأغذية المناسبة لها على وفق الإرادة، فيوسع على قوم، ويضيق على آخرين من غير حجر عليه٠
وخاصيته : لسعة الرزق أن يقرأ قبل صلاة الفجر فى كل ناحية من نواحى البيت (عشر مرات) يبدأ باليمين من ناحية القبلة، ويستقبلها فى كل ناحية إن أمكن٠

(الْفَتَّاحُ)
هو الذى يفتح خزائن رحمته على أصناف بريته٠
قال تعالى : { مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} ٠
وخاصيته : لتيسير الأمور، وتنوير القلوب، والتمكين من أسباب الفتح٠
فمن قرأه بعد صلاة الفجر(إحدى وسبعين مرة) ويده على صدره، طهر الله قلبه، وتنوّر سره، و تيسر أمره٠

(الْعليمُ)
بمعني العالم، وهو من قام به العلم، وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، تتعلق بالمعلومات واجبة وجائزة ومستحيلة تعلق انكشاف٠
فهو تعالى يعلم ذاته وأسماءه وصفاته، ويعلم ما كان وما يكون من الجائزات، ويعلم المستحيل كشريكه من حيث استحالته وانتفاؤه، إذ هو عدم محض٠

ولذا قال الشعرانى فى " اليواقيت والجواهر " فى المبحث الأوّل عن سيدى محى الدين :
فى قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ }
أى : لأن الشريك عدم لا وجود له كما يتيقنه المؤمن بإيمانه، إذا كان عدمًا فلا يغفره الله تعالى، إذ الغفر الستر، ولا يكون إلا لمن له وجود، والشريك عدم فما ثم ما يستر، فهى كلمة تحقيق٠

فمعني قوله { إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ } أى : لأنه لا وجود للشريك، ولو كان له وجودًا لكان للمغفرة عين تتعلق بها٠

فإن قيل فهل لقوله تعالى : { وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ } مفهوم ؟
فالجواب : أنه لا مفهوم له، لأن الاجتهاد فى الأصول ممنوع عند المحققين، فيأثم من أخطأ فيه٠

فإن قيل : فما وجه تنكير قوله تعالى { إِلَٰهًا } فى هذه الآية ؟
فالجواب :
إنه إنما نكره لأنه لم يكن موجودًا، ثم إذ لو كان موجودًا لتعين، ولو تعين لم يصح تنكيره٠
فدل على إن من يدع مع الله إلهًا آخر، قد نفخ فى غير ضرم، واستسمن ذا ورم، وكان مدلول ادعائه العدم المحض، ولم يبق إلا من له الوجود المحض، إذ كل شىء يتخيل فيه أنه شىء فهو هالك فى عين شيئيته٠

فإن قيل من أين جاء للناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى، مع أنهم كلهم أجابوه بالإقرار بالربوبية وحده فى العهد الميثاقى ؟
فالجواب :
أنهم ما أدعو الشريك مع الله تعالى إلا بعد حجبهم عن ذلك المشهد، فلما حجبوا حكمت عليهم الأوهام بوجود الشريك، مع أنه عدم محض فى نفس الأمر، فإنه لو صح شريك للحق، ما صح من العباد الإقرار بالربوبية لله تعالى عند أخذ العهد الميثاقى٠

ولو صح وجود شريك له تعالى فيهم، ما صح إقرارهم بالملك له تعالى وحده هناك، فإن ذلك الموطن كان موطن حق من أجل الشهادة، فنفس إطلاقهم بالملك له بأنه تعالى ربهم هو عين نفى الشريك٠

قال الشيخ :
وإنما قلنا ذلك من طريق الإستنباط لأنه لم يجر هنا للتوحيد لفظ أصلًا، وإنما المعنى يعطيه، فعلم أن الشريك منفى من الأصل٠

فإن قيل : فإذن المشرك جاهل بالله تعالى على الإطلاق ؟
فالجواب : نعم، إذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه، ولا يكون الإيجاد بالشركة قط٠

ثم قال الشيخ المذكور : ولهذا تلحق المعتزلة بالمشركين لأنهم إنما وجدوا أفعال العباد للعباد، فما جعلوهم شركاء لله تعالى، وإنما أضافوا الفعل اليهم عقلًا ٠

كما أن الأشعرية وجدوا أفعال الممكنات كلها لله، لكن ببعض محتملات وجود ذلك الخطاب، ولم يجعلهم من المشركين، بل قالوا إن الله تعالى خالق كل شىء، ولا يخفى أن ما ذهبت اليه الأشاعرة أقوى عند أهل الكشف، مع إن كلا من الطائفتين أصحاب توحيد شرعى٠

ثم قال الشعراني فى " اليواقيت " فى المبحث الرابع والعشرين :

ذكر سيدى محيى الدين فى الفتوحات :
" أن صورة خلق الأفعال صورة لام ألف فى حروف الهجاء، فإن الرائى لا يدرى أى الفخدين هو اللام، حتى يكون الآخر هو الألف.
ويسمى هذا الحرف الذى هو لام ألف " حرف الالتباس فى الأفعال "، فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو، لكن إن قلت هو الله صدقت، وإن قلت للمخلوق مع الله صدقت، ولولا ذلك ما صح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف، ولا اضافة العمل إليه.

ثم إذا كشف الله لنا عن بصيرتنا رأينا الأفعال كلها لله فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون، ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالأدب ؛ فما كان من حسن شرعًا أضفناه إليه خلقًا وإلينا محلاً، وما كان من سيء أضفناه إلينا باضافة الله تعالى، فنكون حاكين قوله :
{ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ. "

وكان القطب الشاذلى يقول فى هذه الآية :
ما أصابك من حسنة فمن الله إيجادًا واسنادًا، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، يعنى إسنادًا لا إيجادًا، والحاصل أن العبد ما صحت له نسبة الفعل إلا من كون الحق تعالى جعله خليفة فى الأرض، فلو جرّد عنه الفعل بالكلية لما صح أن يكون خليفة، ولما قبل التخلق بالأسماء الإلهية. اه

ولنرجع لما نحن فيه، فنقول :
وخاصية الأسم أعنى (العليمُ) :
تحصيل العلم والمعرفة، فمن ذكره وداوم على ذكره، عرف الله تعالى حق معرفته على الوجه الذى يليق به، ومن داوم عليه دبر كل صلاة مائة مرة، صار صاحب كشف وإيمان.

(الْقَابِضُ) أى : الممسك للرزق عمن شاء كيف شاء.
(الْبَاسِطُ) مقابله، وهو الموسع على المضيق عليه كيف شاء ومن شاء.

وقيل : القابض هو القابض للأرواح عند الموت، والباسط هو باسط الأرواح فى الأشباح عند الحياة.
والتخلق بهما : القبض عن كل ما سواه، والبسط فى كل شيء يرضاه، فلا يعتب على أحد من الخلق، ولا يسكن إليهم فى إقبال ولا إدبار.

وخاصية الأوّل : أن من كتبه أربعين يومًا على أربعين لقمة من الخبز لم يحس بألم الوجع.
وخاصية الثانى : أن من ذكره عقب صلاة الضحى عشر مرات، حصل له الانبساط فى كل شيء حتى فى الرزق، ومن ذكره عشر مرات وهو رافع يديه إلى عنان السماء ثم يسمح بهما وجهه، يفتح الله له بابًا من الغنى.

(الْخَـافِضُ الرَّافِـعُ)
هما اسمان من أسمائه تعالى ورد بهما الخبر، وهما من صفات فعله، يرفع من يشاء بإنعامه، ويخفض من يشاء عن رتبته بانتقامه، وقيل الخافض لأعدائه بالذل، الرافع لأوليائه بالنصر ٠

والتخلق بهذين الاسمين : أن يخفض ما أمره الله بخفضه كالنفس والهوى، ويرفع ما أمره الله برفعه كالقلب والروح٠
وخاصية الأوَّل : أن من قرأه خمسمائة مرة، قضيت حاجته، وكفى ما أهمه٠
وخاصية الثانى : الأمن من الظلمة والمتمردين، يقرأ سبعين مرة٠

(الْمُعزُ) هو معطى العز لمن شاء من عباده٠
(الْمُذِلُّ) القاهر لمن شاء من خلقه بإذلاله له٠
والتخلق بهذين الاسمين : أن تعز ما أمرت بإعزازه، وتذل ما أمرت بإذلاله جملةً وتفصيلاً٠

وخاصية الأوّل : أن من قرأه بعد صلاة المغرب ليلة الإثنين أو ليلة الجمعة، أربعين مرة، ألبسه الله فى قلوب الخلق هيبة٠
وخاصية الثانى : أن من قرأه خمسًا وسبعين مرة، ثم يدعو فى سجوده فإنه يتخلص من حبسه، ويأمن من الحاسد والظالم٠

(السَّمِيـعُ)
من السمع الذى هو صفة أزلية زائدة على العلم من غير صماخين، تتعلق تعلق انكشاف بكل موجود قديمًا وحادثًا، فيسمع ذاته فى أزله، وجميع صفاته الوجودية، ويسمع مع ذلك فيما لا يزال ذوات الكائنات كلها، وجميع صفاتها الوجودية، سواء كانت من قبيل الأصوات أو من غيرها، ألواناً وأجسامًا، فهو مخالف لسمعنا لأن من خصائص صفاته تعالى أن كل صفة تفعل فعل إخواتها، فيسمع بما كان به يبصر ٠
هذا ما عليه أهل الكشف، وخالف فى ذلك بعض المتكلمين، فقالوا :
صفات الله تعالى لا تتعدى مراتبها، فلا يسمع تعالى بما به يبصر، وقس على ذلك بقية الصفات٠

(الْبَصِير)
هو المدرك لكل موجود برؤيته، والسمع والبصر صفتان من صفات المعانى ثابتتان له تعالى كما يليق بكماله تعالى، ومن عرف أنه السميع البصير راقبه فى أحواله وأفعاله٠

وخاصية الأول : أن من قرأه يوم الخميس بعد صلاة الضحى (خمسمائة مرة) كان مجاب الدعوة٠
وخاصية الثانى : أن من قرأه بعد صلاة الجمعة، مائة مرة، فتح الله له عين بصيرته، ووفقه لصالح القول والعمل٠

(الْحَكَمُ)
هو الذى يفصل بين مخلوقاته بما شاء، ويملك ما بيد أحد الخصمين للآخر٠
وقيل : هو المميز بين الشقى والسعيد بالثواب والعقاب٠
والتخلق بهذا الاسم : أن تكون حكمًا بين قلبك ونفسك بأن تنظر بينهما بالإنصاف، وترك الدعاوى والانحراف٠
وخاصيته : أن من ذكره آخر الليل مع جمع قلبه مع الطهارة، عدده بالجمل مدة، جعل الله باطنه محل الأسرار الإلهية٠

(الْعَدْلُ)
هو المنزه عن الظلم فى أحكامه وأفعاله٠
والتخلق بهذا الاسم : أن تكون عدلاً فى أحكامك وأفعالك وأوصافك، فلا تظلم أحدًا٠
وخاصيته : أن من كتبه يوم الجمعة أو ليلتها، على عشرين كسرة خبز وأكلها، سخر الله له جميع المخلوقين٠

(اللَّطِيفُ)
هو الذى امتنع ادراكه بالأبصار، وتنزه عن المكان، فلا يتحيز فى الجهات والأقطار، وتعالى عن الحد، فلا تعرفه العقول بالفهوم والأفكار، وهو مع ذلك أقرب إلى الأشياء من ذواتها٠

وقيل اللطيف : هو الذى يسرع بكشف الغمة عند نزول النقمة، ففى الحديث :
« إن لله فى كل طرفة عين نظر لطف إلى خلقه »٠
وقيل اللطيف : من اللطف، وهو اختفاء الأمور فى صورة أضدادها، كما خفى الله ليوسف - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - فى لباس ثوب الرق٠
حتى قال : { إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ } ٠
وخاصيته : أن من ذكره مائة وثلاثًا وثلاثين مرة، وسع الله عليه ما ضاق، وكان ملطوفًا به فى أمره٠

(الْخَبِير)
هو العالم بدقائق الأشياء على ما هى عليها٠
والتخلق بهذا الاسم : الإكتفاء بعلمه تعالى، وترك الرياء والتصنع لغيره تعالى بالإخلاص له تعالى٠
وخاصيته : أن من ذكره سبعة أيام عدده بالجمل، أتته الروحانية بكل خبر يريده من أخبار السنة، وأخبار الملوك، وأخبار القلوب، وغير ذلك٠
ومن كان فى يد شخص يؤذيه، فليكثر من ذكره٠

(الْحَلِيمُ)
هو الذى يسامح الجانى مع استحقاقه العقوبة والمؤاخذة بالذنب، فهو الذى لا يستفزه غضب، ولا يعجل بالعقوبة على من عصاه.
والتخلق بهذا الاسم : أن يصفح عن الجانى، ويسامحه فيما يفعل به من السيئات، بل يقابله بالإحسان تحقيقًا للحلم والغفران.
وخاصيته : أن من كتبه فى قرطاس ومحاه بماء، ومسح به آلة حرفته ظهرت فيها البركة، وإن كانت سفينة أمنت من الغرق، أو دابة أمنت من كل شىء.

(الْعَظِيمُ)
أى : ذو العلو والمجد والرفعة والقدرة، المستغنى عن الأعوان، المتقدّس عن الزمان والمكان، فهو العظيم على الإطلاق ظاهرًا وباطنًا.

قال بعضهم : والباطن أحق به لاختصاص اسم المتكبر بمعنى الظهور به، ولذا كانت العظمة مقترنة بالإزار، فيما ورد فى الحديث القدسى، فى قوله : « الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى »، وكلا الاسمين ظاهر الاختصاص به تعالى، فلذلك يقصم من نازعه فى مضمون أحدهما.

والتقرب بهذا الاسم : من جهة التذلل، والافتقار له تعالى.
وخاصيته : أن من ذكره اثنتى عشرة مرة، أمن من كل شىء.

(الْغَفُورُ)
كثير المغفرة والستر، فهو بمعنى اسمه الغفار، إلا أن اسمه الغفار يقتضى العموم فى الأزمان والأفراد، واسمه الغفور يقتضى المبالغة فى كثرة من يغفر لهم.
وقيل : المبالغة المستفادة من الغفار باعتبار الكم، ومن الغفور باعتبار الكيف، بالنسبة للذنوب المغفورة.

والتخلق بهذا الاسم : أن من كتبه للمحموم برئ، ومن كتب سيد الأستغفار، ومحاه بماء وشربه من صعب عليه الموت أو ثقل لسانه من شدة المرض انطلق لسانه وسهل عليه الموت، ذكره بعضهم وجرب مرارًا.

(الْشَّكُورُ)
هو المجازى لعباده على شكرهم، وقيل : هو كثير الثناء على عبده، يذكر طاعته.
وحقيقة الشكر فى حقنا : فرح القلب بالنعم لأجل نعمته، حتى يتعدى ذلك للجوارح، فتقوم بالخدمة على بساط الحرمة.
والتخلق بهذا الاسم : أن تكون شاكرًا لما يجريه عليك، على الوجه الذى يرضاه لك، ولما يجرى لك على أيدى العباد، بأن تعظم اليسير، وتجازى بالكثير.
وخاصيته : أن من كتبه لمن به ضيق فى النفس، أو تعب فى البدن، أو ثقل فى الجسم، ومحاه بماء وشرب بعضه، ومسح بدنه ببعضه الآخر، برئ باذن الله تعالى.
وإن مسح به ضعيف البصر على عينه، وجد بركة ذلك.

[الْعَلِيُّ]
هو المتعال عن الأنداد والأضداد والأشياء.
والتخلق بهذا الاسم : أن تجنح إلى معالى الأمور، وتتباعد عن سفاسفها.
وفى الحديث : « إن الله يحب معالى الأمور، ويكره سفاسفها ».
وعن على -كرّم الله وجهه- أنه قال : " علو الهمة من الإيمان ".

وخاصيته : أن من كتبه وعلقه على الصغير، فإن الله تعالى يبلغه رشده، وعلى العازب فيجتمع شمله، وعلى الفقير، فيجد غنى بفضل الله تعالى.

[الْكَبِير]
أى : ذو الكبرياء والعظمة، فمن عرف كبرياءه وعلوه، تواضع وتذلل بين يدى عباده الصالحين.
وخاصيته : فتح باب العلم والمعرفة، لمن أكثر من ذكره، وإن ذكره مديون أديّ الله عنه دينه واتسع رزقه، وإن ذكره معزول عن مرتبته سبعة أيام، كل يوم ألف مرة وهو صائم، فإنه يرجع إليها، ولو كان ملكا، وكل ذلك إذا توافرت الشروط.

[الحَفِيظُ]
هو الذي يحفظ المخلوق من كل بلية، فى الدنيا والآخرة.
والتخلق بهذا الأسم : أن تحفظ ما أمرت بحفظه من الجوارح.
وخاصيته : أن من ذكره أو كتبه وحمله فى موضع الخوف، أمن ولو نام عند السباع.

[الْمُقِيتُ]
وهو المعطى لكل موجود ما به قوامه من القوت الحسى والمعنوى، فقوت الحيوانات بالأغذية الحسية اللائقة بها، والأرواح بالعلوم والمعارف، والملائكة بالطاعة.
والتخلق بهذا الاسم : أن لا تطلب حوائجك كلها إلا من الله تعالى، لأن خزائن الأرزاق بيديه.
وخاصيته : أن من كتبه أو قرأه على التراب وبله وشمه، قوَّاه الله على ما هو به.

[الْحَسِيبُ]
قيل : من الحسب بالتحريك، أى السؤدد والشرف الكامل.
وقيل : من الحسب الذى هو الاكتفاء، أى : المعطى لعباده كفايتهم من قولهم حسبى الله، أى : يكفينى.
وقيل : من الحساب، أى الإحصاء والضبط، أى : المحاسب عباده على أعمالهم، فيحاسب كل صنف على حدته ؛
فالكفار : يجعلهم حسباء أنفسهم، فيحكمون على أنفسهم بالنار فيدخلونها.
وأهل الكمال : تحاسبهم الملائكة على رؤوس الأشهاد، وتدقق عليهم ليظهر فضلهم، وتقوم الحجة على غيرهم.
وعامة المؤمنين أهل العقاب : يضع الرحمن يده عليهم فيقررهم بذنوبهم، ويعاقبهم عليها ثم يغفر لهم.

والتخلق بهذا الاسم : أن تخافه وترجوه وتعظمه وتهابه، لما هو عليه من العظمة والكبرياء، بوجود المراقبة لمن هو رقيبك وحسيبك٠
وخاصيته : أن من خاف غلبة قرينه، قرأه كل يوم قبل طلوع الشمس وبعد غروبها، سبعًا وعشرين مرة، فإن الله تعالى يؤمنه قبل الأسبوع، وتكون البداءة يوم الخميس٠

[الْجَلِيلُ]
هو الذى عظم شأنه وظهر أمره فلا يوازيه غيره، ولا يدانيه أحد فى الذات ،ولا فى الصفات، ولا فى الأفعال٠
والتخلق بهذا الأسم : أن تجل نفسك عن سفاسف الأمور٠
وخاصيته : أن من قرأه أو كتبه بمسك وزعفران وحمله ،كساه الله هيبة وجلالاً٠

[الجَمِيلُ]
هو الذى يعطى الجمال لعباده ٠
والتخلق به : أن لا ترى كل جمال فى الوجود إلا جماله تعالى، وتتصف نفسك بالأخلاق الجميلة، وعقلك بالتوجه به إلى ما يرضاه، وجوارحك بإظهار طاعتك عليها٠
وخاصيته : الظهور بجمال الذات والصفات لذاكره وحامله٠

[الْكَرِيمُ]
هو كثير العطاء والإحسان من غير طلب ولا سؤال، بخلاف السخى فإنه المعطى عند السؤال، ولذلك أطلق عليه تعالى أسم الكريم دون السخى٠

والتخلق بهذا الأسم : أن تجعل جوارحك كلها وقًفا عليه، ووجهك متوجًها إليه، وجوارحك عاملة على ما لديه٠
قال ابن عطاء الله السكندرى : لا تتعدى نية همتك إلى غيره فالكريم الذى لا تتخطاه الآمال٠
وخاصيته : وجود الكرم والإكرام، فمن أكثر من ذكره عند النوم دائمًا، أوقع الله فى قلوب العارفن إكرامه٠

[الرَّقِيبُ]
هو الذى لا تأخذه سنة ولا نوم٠
والتخلق به : أن تكون رقيبًا على نفسك٠
وخاصيته : أن من خاف على الجنين فى بطن أمه، يقرؤه سبع مرات عليها فإنها تأمن من سقوطه، وكذا من ما أراد سفرًا، يضع يده على رقبة من يخاف عليه، فإنه يأمن عليه باذن الله تعالى٠

[الْمجِيبُ]
هو الذي يسعف السائل بمقتضى فضله بأن يعطيه مراده، أو ما هو أفضل وأصلح له حالًا أو مآلاً٠
والتخلق بهذا الاسم : أن لا تستعظم ما تسأل فإن الله عظيم كريم ٠

قال -صلى الله عليه وسلم- : « أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة »٠
وأن تكون مجيبًا لمن دعاك فى أمر دينك أو دنياك٠
وخاصيته : أن من ذكره عدده بالجمل، أجيب فيما طلب٠

[الْوَاسِعُ]
هو الذى وسعت رحمته كل شىء، أو هو : الذى وسع رزقه جميع خلقه٠
والتخلق به : أن يتسع خلقك، ورحمتك لعباد الله فى جميع أحوالك٠
وخاصيته : حصول السعة، والجاه، وسعة الصدر بسلامته من الغل والحرص، ووجود القناعة لذاكره٠

[الْحَكِيمُ]
أى المتقن للأشياء على وفق علمه وإرادته٠
والتخلق به : أن تكون حكيمًا، أى : متقنا فى الأعمال الصالحة، بان تكون على الحالة المرضية٠
وخاصيته : أن من أكثر من ذكره صرف الله عنه ما يضره، وفتح له باب الحكمة٠

[الْوَدُودُ]
بفتح الواو من الودّ بتثليثها، وهو : الحب، أى : المحب للمؤمنين أو المحبوب لهم٠
وقال البيهقى : الودود هو الواد لأهل طاعته، أى : الراضى عنهم، والمادح لهم بأعمالهم٠
أو معناه : أن يوددهم إلى خلقه٠

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا }
وقيل الودود : كثير الإحسان لمن ودَّه بالطاعة٠

والتخلق بهذا الاسم : أن يطيع الله فلا يعصيه، وأن يذكره فلا ينساه، من غير علة ولا سبب٠
ومن خواصه : أن من ذكره ألف مرة أحبه الله تعالى، ولذا كان بعض المشايخ يأمر تلامذته بذكره٠

[الْمَجِيدُ]
من المجد، وهو سعة الكرم٠
والتخلق بهذا الاسم : أن تكون كريمًا فى جميع أحوالك، مع ملازمة الأدب٠
وخاصيته : أن الأبرص إذا صام الأيام البيض، وقرأه فى كل ليلة عند الإفطار كثيرًا، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، إما بلا سبب، أو بسبب يفتح الله تعالى له به٠

[الْبَاعِثُ]
هو الذى يبعث رسله إلى الخلق، وقيل : هو الذى يبعث أعيان الموجودات من كتم العدم إلى فضاء الوجود٠
والتخلق بهذا الاسم : أن تبعث نفسك كما يريده منك فعلاً وقولًا، فتكون باعثًا وحاملًا لها على مراد الحق تعالى٠
وخاصيته : أن من وضع يده على صدره عند النوم، وقرأه مائة مرة، نوَّر الله قلبه، ورزقه العلم والحكمة٠

[الْشَّهِيدُ]
أى العليم بكل شىء ظاهرًا وباطنًا٠
والتخلق بهذا الاسم : أن لا يكون لك وجه إلا اليه، ولا تعول إلا عليه، فتكتفى بعلمه فى كل شئ، وبرؤيته عن كل شىء٠
وخاصيته : الرجوع عن الباطل إلى الحق لمن ذكره٠

[الْحَقُّ]
هو الثابت الوجود على وجهلا يقبل الزوال ولا العدم ولا التغير، والكل منه وإليه، فكل شىء دونه باطل لأنه لا حقيقة لغيره٠
وإلى ذلك وقعت الاشارة بالحديث، أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :
« ألا كل شىء ما خلا الله باطل »٠
والتخلق به : نسيان كل شىء بذكره، والعمل فى كل حال بأمره٠

وخاصيته : أن من كتبه فى كاغد مربع (الكاغِدُ : القِرْطاسُ) أَى : الوَرَقُ الصَّالِحُ لِلْكِتَابَةِ أَوِ اللَّفِّ، على أركانه الأربعة، وجعله فى كفه فى وقت السحر، ورفعه إلى السماء، فإن الله تعالى يكفيه ما أهمه٠
ومن لازم لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، فى كل يوم مائة مرة ، أغناه الله من فضله٠
ومن ذكره كل يوم ألف مرة حسنت أخلاقه٠

[الْوَكِيلُ]
هو المتكفل بمصالح عباده، والكافى لهم فى كل أمر٠
والتخلق بهذا الاسم : أن تكون وكيلاً له على عوالمك بطلب حقه تعالى منها٠
وخاصيته : أن من أكثر من ذكره، فإن الله تعالى يفتح له أبواب الخير والرزق٠

[الْقَوِيُّ]
هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، ولا يكون ذلك إلا له تعالى٠
والتخلق به : أن يكون قويًا فى اعتقاده فى جناب الحق تعالى٠
وخاصيته : أن من أكثر من ذكره، وكان من المظلومين بقصد إهلاك ظالمه كان له ذلك، وكفى شره، وعليك بتقوى الله فى ذلك٠

[المَتِينُ]
هو الذى له كمال القوة بحيث لا يعارض فى فعل من الأفعال، ولا يقبل الضعف فى قوته، ولا يمانع فى أمره، ولا يكون ذلك إلا له تعالى لأنَّه تام الصفات٠
وخاصيته : أن من ذكره على بنت صغيرة عشر مرات، أمنت من فجورها ومن الفجار، وكذلك الولد الصغير٠

[الـوَلـيُّ]
هو المتولى أمر عباده المختصين بإحسانه، والله ولىّ المتقين٠
والتخلق به : أن تقوم بخدمة مولاك فتكون وليًا له، والولى هو الذى يتولى الله جميع أحواله فلم يتركه لسواه٠
وخاصيته : إن من ذكره ليلة الجمعة ألف مرة، أعطاه الله الولاية، ويحاسبه حسابًا يسيرا٠

[الْحَمِيدُ]
أى : المحمود المستحق للثناء لاتصافه بالصفات الكمالية، التى لا يصح الحمد معها حقيقه لغيره تعالى٠
ولذا قال النبي - صلى الله عليه سلم - : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »٠
أى : فهو الحامد والمحمود والحميد٠
والتخلق بهذا الاسم : كثرة الثناء عليه تعالى٠
وخاصيته : أن من ذكره فى خلوة تامة، خمسة وأربعين يومًا، كل يوم عدده بالجمل أو أكثر من ذلك قدر طاقته، فإن الله يرقيه فى رتب الولاية٠

[الْمُحْصِى]
أى : العليم المحيط بالمعلومات فلا يخفى عليه شىء٠
والتخلق به : أن يحاسب نفسه ويراقب أنفاسه فى الخروج والدخول٠
وخاصيته : أن من ذكره عشرين مرة على عشرين كسرة خبز، وأكل كل يوم كسرة، سخر الله له الخلق٠

[الْمُبْدِئُ] أى : مظهر الكائنات من العدم إلى الوجود٠
[المُعُيِدُ] أى : معيد الأكوان بعد فنائها٠
والتخلق به : الرجوع إلى الله فى كل شىء٠

وخاصية الأوَّل : أن يقرأ على بطن الحامل فى السحر تسعًا وسبعين مرة، فإن ما فى بطنها يثبت ولا ينزل٠
وخاصية الثانى : أن من ذكره تذكر المحفوظ إذا نسيه، لاسيما إذا أضيف إليه اسمه الأول٠
ومن ذكره ألفًا، زالت حيرته واهتدى إلى الصواب٠

[الْمُحْيِى] هو خالق الحياة ومعطيها لكل شىء أراد حياته على وجه يريده٠
[المُمِيتُ] هو خالق الموت ومسلطه على كل من شاء من الأحياء، متى شاء، وكيف شاء، بسبب، وبلا سبب٠
والتخلق بهذين الاسمين : الإستسلام والإنقياد لمولاك، والرجوع إليه بما منَّ عليك وأولاك من إحياء عوالمك بالطاعة٠
وخاصية الأول : أن من ذكره عدده بالجمل على جسمه، أمن من الحبس والغرق٠
وخاصية الثانى : أن من أكثر من ذكره، فإن نفسه تطاوعه على فعل الطاعة٠

[الَحَيُّ]
هو الموصوف بالحياة المطلقة التامة، التى لا يعتريها شىء من الآفات، فلذا صح له البقاء المطلق لأنه غير مسبوق بعدم.
والتخلق بهذا الاسم : أن تكون بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل.
وخاصيته : أن من قرأه ثلاثمائة ألف مرة، لم يمرض أبدًا.
ومن كتبه فى إناء صينى بالمسك وماء الورد، وحلاه بماء السكر المصرى، وشربه ثلاثة أيام، برئ من مرضه بإذن الله تعالى.

[القَيُّومُ]
هوالقائم بنفسه الذى لا يفتقر إلى غيره.
وخاصيته : أن من ذكره مجرَّدا أذهب عنه النوم.
ومن ذكره مع الحيِّ، بأن قال : يا حيُّ يا قيوم، من مبدأ طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وجد فى نفسه من الخفة ما لا مزيد عليه.

وقيل أن بنى اسرائيل سألوا موسى -عليه السلام- حين دخلوا البحر، عن اسم الله الأعظم، فقال لهم قولوا : أهيا يعنى : يا حيّ، شراهيا : يعنى يا قيوم، فقالوا ذلك فنجوا من الغرق.

[الْوَاجِدُ]
بالجيم من الوجد، وهو الذي يجد كل ما يريده، فكل شىء حاضر لديه.
قال تعالى : { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ }
والتخلق بهذا الاسم : أن تكون واجدًا لكل ما يراد منك، فلا تغفل ولا تهمل فى حالة من الحالات.
وخاصيته : ان من قرأه على لقمة من طعام، وأكلها قوَّى الله قلبه.

[الْمَاجِدُ]
من المجد، وهو : نهاية الشرف، فهو الرفيع القدر العظيم الشرف، فهو بمعنى اسمه المجيد، مع زيادة المبالغة.
والتخلق به : أن ترفع همتك عن الخلائق، مع تعلقك بمولاك.
وخاصيته : أن من ذكره حتى يغلب عليه الحال منه، نور الله قلبه.

[الْوَاحِدُ]
هو المنفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله، فهو واحد فى ذاته فلا ينقسم ولا يتجزأ، وفى صفاته فلا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شئ، وفى أفعاله فلا شريك له فيها.

قال الشيخ الشعرانى فى " اليواقيت " فى المبحث الأول :
قال جهمور المتكلمين : الواحد هو الذى لا ينقسم، ولا يشبه، بفتح الموحدة المشددة، أى لا يكون بينه وبين غيره شبه بوجه من الوجوه، فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء، إذ لو كان له ابتداء أو انتهاء لكان حادثًا، والحادث يحتاج إلى محدث، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ثم قال الشيخ المذكور : وسمعت سيدى عليا المرصفى -رحمه الله- يقول : الآحاد أربعة أقسام :
الأوَّل : أحد لا يتحيز ولا ينقسم، ولا يفتقر إلى محل، وهو البارئ جل وعلا.
الثانى : أحد يتحيز وينقسم ويفتقر إلى محل، وهو الجسم.
الثالث : أحد يتحيز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل، وهو الجوهر الفرد.
الرابع : أحد لا يتحيز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل، وهو العرض. اه
وهذا هو مجموع الوجود القديم والحادث.

والتقرب بهذا الاسم تعلقًا وتخلقًا :
أن لا ترى في الدارين إلا هو، ولا تعرج على غيره فتكون واحدًا به.
وقد فُسر قوله -صلى الله عليه وسلم- : « إن الله وتر يحب الوتر» بالقلب المنفرد له تعالى.
فتكون واحدًا فى عصرك بين أبناء جنسك، كما قيل :
إذا كان من تهواه فى الحسن واحدًا *** فكن واحدًا فى الحب إن كنت تهواه.

وخاصيته : إخراج التعلق بالخلق من القلب، فمن قرأه ألف مرة خرج منه ذلك، وكفاه الله خوفهم الذى هو أصل كل بلاء فى الدنيا والآخرة.

وفى الحديث : أنه - صلى الله عليه وسلم - سمع رجل يقول فى دعائه :
« اللهم إنى أسألك بأنك أنت الواحد الأحد الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد
فقال : « لقد سأل الله باسمه الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى ».

[الأَحَدُ]
معناه كالذى قبله بزيادة وصف الوحدانية.
وقد يقال : هو الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله.
الأحد فى وحدانيته أى : لا يقبل التغيير ولا التشبيه بحال.
وقيل الواحد : الذى لا تعدد فى ذاته ، والأحد الذى لا ينقسم ولا يتميز، فيهما إشارة إلى نفى الكم المنفصل والمتصل وهذا أولى.

قال العارف الشعرانى فى " اليواقيت والجواهر " فى المبحث الأول :
فإن قلت : لفظة التوحيد توهم أن العبد هو الذى وحد ربه، وفى ذلك رائحة الا فتقار، وتعالى الله عن ذلك ؟
فالجواب : ما قاله الشيخ ابن العربى فى " الفتوحات " :
أن الحق تعالى غنى عن توحيد عباده له، فإنه الواحد لنفسه، ووحدانيته ما هى بتوحيد مَّوحِد، وذلك لئلا يكون الحق تعالى الذى هو المقدس، أثرًا لهذا العمل.
ثم قال : فتفطنوا أيها الإخوان لهذة النكتة، فإنها دقيقة جدا.

قال الشيخ ابن العربي في الفتوحات : ولغناه تعالى عن توحيد عباده، قال تعالى :
{ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ } فأخبر الله تعالى أنه الموحد نفسه بنفسه، وعباده إنما هم شهداء على شهادته لنفسه، على سبيل التصديق والاعتراف والإذعان٠

إن قيل : عطف الملائكة وأولوا العلم على شهادته لنفسه، قد يوهم الاشتراك فى الوقت، ولا اشتراك هنا لأن شهادة الحق لنفسه بالتوحيد لا افتتاح لها، والملائكة وأولوا العلم محدثون بلا شك؟
فالجواب :
أنه لا اشتراك إلا فى الشهادة قطعًا، وأما الوقت فلا يصح فيه الاشتراك لكون شهادة الحق تعالى كانت قبل خلق الزمان، ووقت شهادة عباده له، إنما هى حين أظهرهم وكشف لهم عن ذلك فافهم٠ اه

والتخلق بهذا الاسم تعلقًا : أن تنسى ذكر كل شىء بذكره، فلا يكون للأكوان عندك نسبة فى الوجود، ولا فى العدم٠

قال ابن عطاء الله السكندري -قدس سره- فى حكمه :
" الأكوان ثابتة باثباته، وممحوة بأحدية ذاته تعالى "٠
قال شارحها : الأكوان من حيث ذاتها عدم محض، وإنما هى ثابته بإثباته لها٠
أى : إنما حصل لها وصف الثبوت والتحقق باثبات الله لها، أى : ظهوره فيها، فالثبوت لها أمر عرضى، ولا ثابت حقيقة إلا هو٠

ولذا قال : " وممحوة بأحدية ذاته "٠
أى : من نظر إلى أحدية ذاته، لم يجد للأكوان ثبوتًا وتحققًا حينئذ، وإنما لها ثبوت فى النظر إلى الواحدية٠

لأن الأحدية عند العارفين : هى الذات البحت، أى الخالصة عن الظهور فى المظاهر وهى الأكوان٠
والواحدية : هى الذات الظاهرة فى الأكوان، فيكون للأكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الحق فيها٠

ولذا يقولون بلسان الإشارة : الأحدية بحر بلا موج، والواحدية بحر مع موج، فإن الحق سبحانه وتعالى عندهم كالبحر، والأكوان كالأمواج التى يحركها هذا البحر، فهى ليست عينه، ولا غيره، هذا هو توحيد العارفين٠
وقد ألف بعضهم على وحدة الوجود بما لا مزيد عليه٠

وأنشد بعض العارفين
سر سرى من جناب القدس أفنانى * لكن بذاك الفنا عنى فأحيانى
وردنى للبقا حتى أعبر عن * جمال حضرته لكل هيمانى
فطرت فى ملكوت من عجائبه * لم ألق غير وجود ماله ثانى

وخاصيته :
أن من أكثر من ذكره، ظهر له عجائب وغرائب بحسب قوته وضعفه٠

[الصَّمَدُ]
هو الذى يصمد إليه فى الرغائب، أى يقصد فيها٠
وقال فى الإبريز : الصمد هو اسم تسقى منه جميع المخلوقات، ما فيه روح وما لا روح فيه، والله أعلم٠ اه، وقيل غير ذلك٠
والتخلق به : أن تكون معينًا للعباد على حوائجهم ما أمكن٠
وخاصيته : أن من ذكره عند السحر، مائة وخمسة وعشرين مرّة، ظهرت عليه آثار الصدق والصدِّيقية٠

(فائدة) :
قال الشيخ الشعرانى فى " اليواقيت " فى المبحث الأول :
فإن قلت : قد أجمعوا على أن كل صادق ناج، ومعلوم أن المشرك صادق فى أنه مشرك فلم لم ينفعه صدقه ؟
فالجواب : ما قاله الشيخ ابن العربى فى " الفتوحات " :
أن الصدق لا ينجى صاحبه إلا إذا وافق الحق، فإن الغيبة والنميمة قد يكونات صدقًا، ومع ذلك فهما محرمتان، ولذلك قال تعالى : { لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ } ٠
يعنى : هل أمرهم الحق بذلك الصدق أم نهاهم عنه، فك حق صدق وليس كل صدق حقًا٠
فعلم أن المشرك صادق فى أنه مشرك، وما هو صادق فى أن الشرك فى الألوهية صحيح، وقد بحث هو بالأدلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا فى الصدق٠
٠
فإن قيل فهل يصح أن يتبرأ الحق تعالى من الشريك من حيث أنه عدم لا وجود له فى نفس الأمر ؟
فالجواب : ما قاله الشيخ ابن العربى - رحمه الله تعالى - :
أنه لا يصح أن يتبرأ الحق تعالى من الشريك لأنه عدم، وإنما يتبرأ من المشرك من حيث أنه اتخذ آلهة من دون الله تعالى بغير سلطان أتاه٠

[الْقَادِرُ] : هو المتمكن من الفعل بلا معالجة ولا واسطة، وهو الذى لا يلحقه عجز فيما يريد انفاذه٠
[الْمُقْتِدرُ] أى :المستولى على كل شىء.
وقيل القادر والمقتدر : ذو القدرة، لكن المقتدر أبلغ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى٠

وقيل القادر : هو الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود٠
والمقتدر : هو الذى يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره، فضلًا منه وإحساناً٠
كما يقال : إن الله تعالى يصلح الولد فى بطن أمّه، بحيث لا يبكى فيها لعدم تأذيه، فإذا خرج منها بكى لتأذيه٠

والتخلق بهذين الاسمين : أن لا تعجز عن شىء من مراداته تعالى قدر استطاعتك، وتبذل فى طاعته غاية قدرتك٠

وخاصية الأول : أن من ذكره مائة مرة بعد صلاة ركعتين، قهر أعدائه وظفر بهم٠
وخاصية الثانى : أن من ذكره عند القيام من النوم، دبره الله فيما يريد حتى لا يحتاج إلى تدبير نفسه٠

[الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ] أى : المقدم بعض الأشياء على بعض كتقديم السبب على المسبب، أو فى الشرف : كتقديم الأنبياء علي غيرهم، أو فى الذات : كتقديم المفرد على المركب٠
والتقرّب بهذين الاسمين : أن تكون بين الخوف والرجاء٠
وخاصية الأول : القوة فى الحرب، والنجاة منه لذاكره عند دخول المعركة٠
وخاصية الثانى : التأخرعلى كل قبيح، فمن أكثر من ذكره، فتح الله عليه باب التوبة والتوفيق٠

[الأَّولُ] هو الذى لا ابتداء لوجوده٠
[الأخِرُ] هو ما لا انتهاء لوجوده، فهو بمعنى القديم الباقى، فلا افتتاح لوجوده، ولا اختتام لثبوت قدمه وبقائه، واستحالة عدمه وفنائه٠

قال الإمام الشعرانى فى " اليواقيت " فى المبحث العاشر، نقلا عن القطب أبى الحسن الشاذلى :

قد محق الحق تعالى جميع الأغيار بقوله : الأوَّل والآخر والظاهر والباطن٠
فقيل له : فأين الخلق ؟
فقال : موجودون، ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالأنابيب التى فى كرة الشمس، تراها صاعدة هابطة فإذا قبضت عليها لا تراها، فهى موجودة فى الشهود، مفقودة فى الوجود٠ اه

والتخلق بهذين الاسمين : أن تكون أوَّل الناس سبقًا إلى الخير، وآخرهم تعلقًا به٠
وخاصية الأوَّل : جمع الشمل، فاذا واظب عليه المسافر فى كل يوم جمعة ألفا، اجتمع شمله على مطلوبه٠
وخاصية الثانى : صفاء الباطن عما سوى الله تعالى، فإذا واظب عليه انسان فى كل يوم مائة مرة، خرج من قلبه ما سوى الحق تعالى٠

[الْظَاهِرُ] أى : الظاهر وجوده، للعقول السليمة بآياته الدالة عليه كالسموات والأرض٠
[الْبَاطِنُ] أى : المحتجب عن العيون والأوهام فلا تدرك كيفيته، فهو الظاهر من جهة التعريف، الباطن من جهة التكييف٠

ولذا قال ابن عطاء الله ـ قدس سره ـ : " أظهر كل شئء لأنه الباطن، وطوى وجود كل شىء لأنه الظاهر"٠

قال شارح الحكم : أظهر كل شىء لأنه الباطن، أى : أن مقتضى اسمه الباطن أن لا يشاركه فى البطون شىء، فلذا أظهر الأشياء كلها، أى : جعلها ظاهرة ولا باطن فيها غيره٠

وطوى وجود كل شىء لأنه الظاهر، أى : أن مقتضى اسمه الظاهر أن لا يشاركه فى الظهور شىء، فلذا طوى وجود كل شىء، أى : لم يجعل لغيره وجودًا من ذاته، بل المكوِّنات جميعها عدم محض، لا وجود لها إلا من وجوده٠

وحاصله : أن من أسمائه تعالى الظاهر والباطن٠

فاسمه الظاهر : يقتضى بطون كل شىء حتى لا ظاهر معه، فينطوى حينئذ وجود كل شىء٠

واسمه الباطن : يقتضى ظهور كل شيء حتى لا باطن معه فيظهر، اذ ذاك وجود كل شىء، أى : بوجوده، فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار، ولا وجود لغيره إلا بطريق التبع عند أرباب البصائر، بخلاف غيرهم من المحجوبين٠ اه

قال العارف الشعرانى فى " اليواقيت " فى المبحث الأوَّل :

فإن قلت : فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار؟ فالجواب : كما قاله الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور :

أن ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار، بل هو الظاهر فى حال كونه باطنًا، واختلاف حكم التجليات إنما هو راجع إلى إدراك المدركين والمشاهدين، بحسب ما يكشف عن بصائرهم، فإنه تعالى لا يظهر بعد احتجاب، ولا ينزل بعد ارتفاع لأن ذلك من صفة الأجسام، وتعالى الله عن ذلك علُوًا كبيرًا٠

وقال سيدى محي الدين : اعلم ان تجليات الحق تعالى بالأسماء لها ثلاث مراتب :

الأولى : أن يتجلى للعالم باسمه الظاهر، فلا يبطن عن العالم شىء من أمر الحق تعالى، وهذا خاص بموقف القيامة٠

الثانية : أن يتجلى للعالم باسمه الباطن، فتشهده القلوب دون الأبصار، ولذا يجد الإنسان فى فطرته، الاستناد إليه والأقدار به من غير نظر فى دليل، ويرجع في أموره كلها اليه٠

الثالثة : أن يتجلى باسمه الظاهر والباطن معًا، وهذا خاص بالأنبياء وكُمَّل ورثتهم٠ اه

والتخلق بهذين الأسمين : إخفاء أعمالك حتى تكون باطنًا عن أفهام الأغيار، وإظهار خصائصك للمحبين حتى تكون ظاهرًا لديهم٠

خاصيته الأوَّل : اظهار نور الولاية في قلب ذاكره، إذا ذكره عند الإشراق٠

وخاصيتة الثانى : وجود الأنس لمن ذكره فى اليوم، ثلاث مرات ، فى كل مرة ساعة زمانية٠

وعن الشيخ الحضرمى، أنه كتب لبعض إخوانه : هو الأوّل والأخر والظاهر والباطن، وهو بكل شىء عليم، بعد صلاة ركعتين، خمسة وأربعين يومًا لجميع المطالب٠

[الْوَالى]
أى المتولى الأمور، أو هو الذى يباشر الحكم لإصلاح المول عليه.
والمراد هنا : الحاكم على الإطلاق فلا يزاحمه أحد.
والتخلق به : أن تكون واليًا وحاكمًا على نفسك، فلا تخرج بها عما يرضيه بوجه ما.
وخاصيته : دفع الآفات من الصواعق غيرها لذاكره.

[الْمُتَعَالى]
أى : المرتفع فى كبريائه، أو المرتفع عن النقائص، أو عن إحاطة العقول والأفكار.
والتخلق به : أن يرفع همته فى خدمته تعالى.
وخاصيته : أن من ذكره حصل له رفعة وصلاح حال.

[الْبَرُّ]
هو الذى يوصل الخير لمن كتبه له برفق ولطف.
والتخلق به : وجود النفع لعباد الله تعالى، والشفقة عليهم.
وخاصيته : حصول البرّ فى الموجودات لمن ذكره.

[التَوَّابُ]
أى : الموفِّق للتوبة.
والتخلق به : أن يتوب من كل ذنب، ويرجع إليه فى كل حال.
وخاصيته : أن من قرأه عقب صلاة الضحى، ثلاثمائة وستين مرة، تحققت توبته.

[الْمُنْتَقِمُ]
أى : المعاقب للعصاة بذنوبهم، وقيل هو المؤاخذ لمن شاء بأعظم سطوة كما أراد.
والتخلق به : الانتقام من النفس وغيرها.
وخاصيته : أن يذكره من لا يقدر على الإنتقام من عدوّه، لكنه كما ينتقم لك ينتقم منك.
ففى الخبر : إذا دعا العبد على ظالمه، قال الله تعالى : عبدي أنت تدعو على من ظلمك، ومن ظلمته يدعو عليك، فإن أردت أن أستجيب لك، أستجيب عليك.

[الْعَفُوُّ]
هو الذى يترك المؤاخذة بالذنب حتى لا يبقى له أثر.
والتخلق بهذا الاسم : أن تعفو عن مساوئ العباد فى كل حال.
وخاصيته : أن من أكثر من ذكره، فتح الله عليه باب ذكره.

[الرَّءُوفُ]
من الرأفة، وهى : شدة الرحمة، فهى باطن الرحمة، والرحمة من أقصى أوصاف الإرادة.
إذ الرحمة : إرادة كشف الضر، ودفع السوء بنوع من العطف.
والرأفة : بزيادة رفق ولطف.

والتخلق بهذا الاسم : أن يشفق على عباده تعالى ويرحمهم٠
وخاصتيه : أن من ذكره عند الغضب عشر مرات، وصلى على النبى -صلى الله عليه وسلم- كذلك، سكن غضبه، وكذا من ذكره بحضرته٠

[مَـالِكُ الْمُلْكِ]
هو الذى له التصرف فى كل مخلوق، بلا مانع ولا مراجع٠
والتقرُّب بهذا الاسم : تعلقًا بدوام الخضوع لله تعالى، ولزوم الحضور بحيث لا يكون قلبك مشغولًا بغيره تعالى على حسب الإمكان٠
قال القطب الشاذلي - رحمه الله تعالى - :
قف بباب واحد لتفتح لك الأبواب ، واخضع لمالك واحد لتخضع لك الرقاب٠

وتخلقًا : يجب أن تكون مالك نفسك عما يخالف الحق بكل حال٠
وخاصيته : أن من داوم على ذكره أعطاه الله مالًا، وأغناه من فضله وكرمه٠

[ذو الْجَلالِ]
أى : صاحب صفات القهر كالعظمة والكبرياء٠

[وَالإِكْرَامِ]
أى : الإعطاء والاتصال التام٠
والتقرب بهذا الاسم تعلقًا : بالخضوع والتواضع لله تعالى٠
وتخلقًا : أن تكون لك جلالة وهيبة عن النقائص، وتكرم على العباد بالإعطاء٠
خاصيته : وجود العزة والكرامة، وظهور الجلالة لذاكره٠

[الْمُقْسِطُ]
هو الذى لا يجور فى حكمه من أقسط بمعنى : عدل، وأما قسط فبمعنى : جار٠
والتخلق بهذا الاسم : دوام المراقبة له تعالى، فلا يظلم ولا يجور على أحد فى حكمه، جملةً وتفصيلاً٠
وخاصيته : أن من داوم ذكره، منع الله عنه الوسواس٠

[الْجَامِعُ]
هو الحاشر لعبادة، والناشر لهم، والجامع لأجزائهم بعد تفرّقها٠
والتخلق به : أن تكون جامعًا للمحاسن، مجتنبًا للقبائح٠
وخاصيته : أن من داوم عليه اجتمع بمقاصده٠
واذا ذكره من ضاعت عليه ضالته، بأن يقول : " اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتى " فإن الله تعالى يردّ عليه ضالته، أو يعوض عليه من فضله وكرمه٠

[الْغَنِيُّ]
أى المستغنى عن كل شيء٠
والتخلق به : إظهار الفاقة والفقر إليه تعالى أبدًا، مع الغيبة عن رؤية فقرك٠
وخاصيته : أن من ذكره على مرض فى جسده أو جسد غيره أذهبه الله عنه٠

[الْمُغْنِى]
هو معطى الغنى والكفاية لمن شاء من عباده٠
والتقرّب به تعلقًا : أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك٠
وتخلقًا : بوجود السخاء والبذل لعباد الله تعالى٠
وخاصيته : أن من ذكره كل يوم ألف مرة ، أغناه الله تعالى٠

[الْمُعْطِى]
أى : الذى يعطى ما شاء لمن شاء٠

[الْمَانِعُ]
أى : الذى يمنع الإعطاء عمن شاء، فلا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، كما قال -عليه الصلاة والسلام- : « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت »٠

التقرب بهذين الاسمين تعلقًا : أن لا تسأل غير الله تعالى فى جميع حوائجك، فلا تعتد بإعطاء غيره تعالى، ولا بمنعه لك، بل لا تعتد بالأسباب فضلاً عن غيرها٠
وخاصيتهما : أن من أكثر من ذكرهما أعطاه الله مطلوبه، ومنع عنه الشرّ٠

[الْضَّارُ النَّافِعُ]
أى : هو الذى يقدِّر الضر والنفع، ويوصلهما لمن أراد كيف أراد، عدلًا فى الأوّل، وفضلًا فى الثانى٠
والتقرّب بهذين الاسمين تعلقًا وتخلقًا :
أن لا ترجو النفع من غيره، ولا تستكشف الضرّ من سواه تعالى، وأن تضرّ من أمرت بضرره، كنفسك مثلا، وتنفع من أمرت بنفعه، كعقلك وروحك والمؤمنين٠

وخاصية الأوَّل : أن من ذكره كل ليلة جمعة مائة مرة، حصل له قرب من الله تعالى٠
والثانى : أن من ذكره بقلبه حال جماعه لزوجته أحبته، ورزق منها العيال الصالحة٠

[النُّورُ]
أى : منوِّر الاشياء بظهوره فيها، قال تعالى : { لِلَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }
أى : منورهما بالكواكب أو بالملائكة والأنبياء، وقيل : هو مظهر الأعيان مِن العدم إلى الوجود٠

قال فى الحكم : " الكون كله ظلمة، وإنما أناره وجود الحق فيه "
قال شارحها : الكون أى : المكوّنات، أى : المجودات بأسرها كلها، ظلمة٠
أى : عدم محض لا وجود لا فى نظر أرباب الشهود٠

وإنما أناره : أى : أوجده ظهور الحق فيه ؛ كظهور الشمس فى الكوة ذات الزجاج فليس هناك إلا وجود واحد، وهو وجود الحق، وبظهوره فى الأشياء وجدت على حسب ما تقتضيه طبائعها، وليس لها وجود فى ذاتها، وهذا تقريب للإفهام، وإلا فلا يدرك إلا بالذوق اه٠

وقوله : " ظهور الحق فيه " :
أى : ظهور فعل الله فيه فإن العارفين يشاهدون فعل الله فى كل شىء لقوة معرفتهم، وما من مخلوق إلا وفعل الله تعالى فيه من غير حلول ولا اتحاد٠

وهذا معنى قول بعض العارفين : " ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه "٠
أى : رأيت فعله كما علمت٠
أى : لأن أفعاله سبحانه وتعالى لو انقطعت طرفة عين لانهدم الوجود، وتلاشى، واختل النظام، فما من موجود إلا وفيه فعل الله تعالى، وهو مادّته، والسبب فى بقائه، ولو أنه حجب أفعاله عنا لاحترقت الذوات وذابت٠

والتقرب بهذا الاسم تعلقًا : رؤية كل شىء منه وبه فتكون به وله فى كل شىء٠
وتخلقًا : أن تكون مظهرًا له فى كل خير٠
وخاصيته : تنوير قلب ذاكره جوارحه، ولذا كان - صلى الله عليه وسلم - يكثر من قوله :
« اللهم اجعل لى نورًا فى قلبى، ونورًا فى قبرى ٠٠إلخ »٠
عند ظهور أوَّل النهار : وهو صلاة الفجر٠

[الْهَادِى]
أى : المرشد لعباده، والدال لهم على ما فيه صلاحهم٠
قال تعالى : {الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ } أى : هدى ما خلق لما أراده فى دينه ودنياه٠
والتخلق بهذا الاسم : أن يرشد العباد إلى مصالحهم الدينية والدنيوية جملةً وتفصيلاً٠
وخاصيته : هداية القلوب لحامله وذاكره، ومن ذكره رزق التحكم فى البلاد بالحق٠

[الْبَدِيعُ]
هو المبدع للأشياء على غير مثال سابق٠
والتخلق بهذا الاسم : أن تكتسب الفضائل، وتجتنب الرذائل بحيث تخرق من نفسك العوائد٠
وخاصيته : أن من ذكره (سبعين ألف مرة) قضيت حاجته، ودفع الله عنه المضار٠

[الْبَاقِى]
هو الذى لا يجوز عليه العدم٠
وفى معناه الدائم : وهو الذى لا انصرام لوجوده، ولا انقطاع لبقائه٠
والتخلق بهذا الاسم : أن لا تتحول عن طاعته بل تكون باقيًا فيها، كما يشير إلى ذلك حديث :
« فإن الله لا يمل حتى تملوا »٠
وخاصيته : أن من ذكره (ألف مرة) تخلص من ضره وهمه٠

[الْوَارِثُ]
أى للأشياء بعد فناء أهلها، أو هو : الذي ترجع إليه الأملاك وملاكها، على وجه لا يبقى معه دعوى ملك لأحد، قال تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا } ٠
والتخلق به : أن تكون وارثًا لما عليه الصالحون، كما ورد : « العلماء ورثة الأنبياء »٠
وخاصيته : زوال الحيرة لذاكره٠

[الْرَشِيدُ]
هو المدبر للأشياء الموقع لها على غاية الإحكام، من غير مشورة لأحد، وقيل : هو المرشد لخلقه، فيكون بمعنى الهادى٠
والتخلق بهذا الاسم : أن لا تقف موقف سفاهة فى حالة من أحوالك الدنيوية والأخروية٠
وخاصيته : أن من ذكره بعد صلاة العشاء، مائة مرة ، تقبل الله أعماله٠

[الصَّبُور]
هو الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، بل يؤخر إلى أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر، أو يتوب عليه بفضله وكرمه٠
والتقرُّب : بهذا الاسم تعلقًا وتخلقًا : أن تكف عما يكرهه الله تعالى حفظًا للحرمة، وتلزم ما يجب عليك تحسينًا للخدمة، لأنه تعالى لا يرضى المخالفة٠
وخاصيته : أن من ذكره قبل طلوع الشمس، مائة مرة، لم تصبه نكبة٠

وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل، وإنما ذكر المصنف هذه الأسماء بلام التعريف دون النداء ، لأن النداء يشعر بالبعد بخلاف اللام٠

وأيضًا فالمقام مقام الثناء على الله بصفاته فالمناسب فيه اللام، بخلاف مقام المناجاة والطلب منه تعالى، فإنه يؤتى فيه بيا النداء٠
٠
واعلم أنه ينبغى للسالك أن يحضر قلبه، ويسكن جوارحه عند تلاوتها، وينوى بذلك طهارة جوارحه بإفاضة أنوار تلك الأسماء عليه كما مرت الإشارة إليه فى أوَّل الخطبة٠

ثم ذكر المصنف ما هو كالنتيجة لتلك الأسماء، فقال :

[الـْذِى تَقَدَّسَتْ] أى : تنزهت وتطهرت٠
[عَنِ الأشْـبَاهِ] أى : الأمثال٠
[ذَاتُـه] فلا تشبه شيئًا، ولا يشبهها شىء بوجه من الوجوه٠
قال تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }

[وَتنَزَهَتْ عَنْ مُشَابَهِةِ الأمْثَالِ صِفَاتُهُ] فلا تشبه صفات الحوادث بوجه من الوجوه، بل فى مجرّد التسمية، لأن صفاته قديمة باقية، ليست عينًا ولا غيرًا، ولا كذلك صفات الحوادث ، وال فى الأشباه والأمثال للاستغراق٠

[وَشَـهِدَتْ بِرُبُوبِيَتِهِ] أى : دلت على كونه رب العالمين٠
[آيَـاتُهُ] التى نصبها فى العالم ؛ كتغير الليل والنهار، وتبدل أحوال المخلوقات٠
فقد سئل علىٌّ -رضى الله عنه وكرم الله وجهه- : بم عرفت ربك ؟
فقال : بالنوم تارة، وباليقظة تاره أخرى٠
وسئل مرة أخرى عن ذلك ، فقال : بفسخ العزائم، ونقض الهمم٠

وسئل عن ذلك ولده الحسن ـ رضى الله عنه ـ فقال : بفسخ العزيمة وقصر المشيئة، وضعف الأركان والأزمان٠

وسئل عن ذلك ولده الحسين -رضى الله تعالى عنه- عن ذلك، فقال : بموت الطبيب، وقهر الملك النجيب، ويلزم من ذلك وجوده تعالى٠

[وَدَلَّتْ عَلَى وَحْـدَانِيَّتِهِ] أى : كونه واحدًا لا تعدّد فيه ٠
[مَصْنُوعَاتُهُ] أى : كل ذرّة من ذرات الموجودات شاهدة بوحدانيته تعالى، إذ لو كان الإله اثنين لجاز أن يريد أحدهما شيئًا، والآخر يريد ضدّه كحركة زيد وسكونه، فيمتنع وقوع المرادين،وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدّين المذكورين، واجتماعهما باطل، فيتعين وقوع أحدهما، فيكون مريده هو الإله الحق دون الآخر لعجزه، فلا يكون الإله إلا واحدًا بإجماع العقلاء٠

قال تعالى : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا }
أى : لم توجدا، وقيل: لخرجتا عن هذا النظام كما فى تعدّد الحكام اه٠
قاله فى اليواقيت٠

وحاصل هذه المسئلة كما فى " حاشية الجوهرة " :

أنه لو كان إلهان لما وجد شىء من العالم لأنهما إما أن يتفقا، وإما أن يختلفا ؛
فإن إتفقا فلا جائز أن يوجداه معًا لئلا يلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد، ولا جائز أن يوجداه مرتبًا بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر، لئلا يلزم تحصيل الحاصل، ولا جائز أنه يوجد أحدهما البعض، والآخر البعض الآخر للزوم عجزهما حنيئذ، لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض، سدّ على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز، وهذا يسمى برهان التوارد لما فيه من تواردهما على شىء واحد.

وإن اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد العالم، والآخر إعدامه، فلا جائز أن ينفذ مرادهما لئلا يلزم عليه اجتماع الضدين، ولا جائز أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده، والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما. اه

[وَاحِدٌ] أى : فى ذاته، أى : ليست مركبة من أجزاء، وليس هناك ذات تشبهها.
(لامِنْ قِلَّةٍ) أى : لا من أجل قلة الأجزاء كوحدة الجوهر الفرد فإنه من أجل قلة الأجزاء، ولو ركب مع غيره لم يكن واحدًا.
ولا من أجل قلة ذات أخرى تقوم مقامها فى التدبير، كوحدة السلطان المدبر لمملكته، فإنها من أجل قلة من يقوم مقامه فى ذلك، ولو وجد لم يكن واحدًا فيه.
فالمراد بالقلة : عدم الوجود.

[وَمَوْجُـودٌ لا مِنْ عِلَّةٍ] أى : لا لأجل علة اقتضت وجوده لأنه موجود قبل كل موجود، ولو كان وجوده من أجل علة لتقدمت عليه.

[بِالْجُودِ] أى : الكرم.
[مَعْرُوفٌ] أى مشهور عند كل مخلوق بأنه محسن له بواسطة أو بغير واسطة.
وقوله : [وَبِالإِحْسَانِ مَوْصُوفٌ] من عطف السبب على المسبب.
أى : متصف بذلك قديمًا وحديثًا، ومنه إيجاد الكائنات بعد أن لم تكن.

[مَعْرُوفٌ بِلا غَايَةٍ] لمعرفته بذلك لأنه لم يزل محسنًا دنيا وأخرى، فيعرف إحسانه فى الدارين.
[وموصوف بلا نهاية] أى : لا نهاية ولا فراغ لاتصافه بذلك، بل هو متصف بالإحسان فى الدارين، والغاية والنهاية بمعنى واحد.

[أَوَّلٌ قَـدِيمٌ] أى : قديم، وقوله [بِلاَ ابْتِداءٍ] أى : لوجوده، وهو تأكيد لما قبله.

[وَاخِرٌ كَرِيمٌ مُقِيمٌ] أى : باقٍ [بِلا انْتِهَاءٍ].
وإنما وصف المصنف قوله " كريم " بين تلك الأوصاف لمشاهدة كرم الحق فى ذلك الوقت.

[أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْئٍ] أى : واجب، وجائز، ومستحيل [عِلْماً] فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات، ولا فى الأرض.

[وَغَفَرَ ذُنُوبَ الْمُذْنبِينَ] أى : عصاة المؤمنين [كَرَماً وَحِلْماً وَلُطْفاً وَفَضْلاً] أى : لأجل ذلك لا وجوبًا عليه، ولا بسبب عمل اقتضى الغفران.

وقد ورد ان ابليس لما قال : { فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } .
قال الله تعالى : كل عبد أذنب ذنب فأستغفرنى غفرت له.
فقال ابليس : أنا أمنعهم عن الإستغفار .
فقال الله تعالى : إن منعتهم عن الإستغفار أتمنعنى عن الغفران ؟ أغفر ولا أبالى ليعلم الخلائق إنى كريم رحيم.

[الَّذى لَمْ يَلِدْ] أى : لم ينشأ عنه شىء من ابن أو بنت لعدم مجانسة غيره، وعدم افتقاره إلى من يعينه.
[وَلَمْ يُولَدْ] أى : لم يتولد عن غيره كالأب والأم، لأنه لا يفتقر إلى شىء، ولا يسبقه عدم.
[وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ] أى : ولم يكن أحد يكافؤه، أى : يماثله من صاحبة وغيرها.

[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] أى : ليس شىء كذاته وصفاته.
[وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] أى : يسمع ويبصر ما من شأنه أن يسمع ويبصر .

[نِعْمَ الْمَوْلَى] أى : السيد.
[وَنِعْمَ الْنَصِيرُ] أى : الناصر على الأعداء الظاهرة والباطنة.

ولما كان المتصف بهذه الصفات شأنه الكرم والإعطاء، سأل ذلك منه بقوله :
[غُفْرَانَكَ] أى : نطلب منك غفرانك لنا، وكرَّره توكيدًا .
[رَبَّنَا وَإليكَ الْمَصِيرُ] أى : المرجع فى الدار الآخرة.

[وَحَسْبُنَا الله تَعَالَى وَحْدَهُ] أى : كافينا فى جميع أمورنا الدنيوية والأخروية، أى : نطلب منه ذلك.
[وَنِعْمَ الْوَكِيلُ] أي المفوّض اليه الأمور .
[وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِالله الْعَلي الْعَظِيمِ]

[يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ] أى : يريده، فكل ما تعلقت به إرادته يفعله.
[بِقُدْرَتِه] بلا استئذان ولا مشورة فينبغى طلب الغفران والكفاية منه.

[وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ] أى : ينفذ ما حكم به من خير أو شر .
[بِعزَّتِهِ] أى غلبته بلا منازع ينازعه، فينبغى تفويض الأمور إليه، وإسناد الحول والقوة له تعالى.

ثم علق المصنف ذلك بقوله :
[أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ] أى : إنما كان يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لأن جميع الخلائق له تعالى، وجميع الأمور التى يجريها عليهم من خير أو شر، له تعالى ليس لأحد فى ذلك شىء حتى يستأذنه أو يشاوره٠
[تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ] أى : تزايد برّه وإحسانه٠

ولما وصفه تعالى بهذه الصفات السنية، ناسب أن يوحده بقوله :
[وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه إلا اللهُ] حال كونه [وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ]
وحال كونه [إِلَهًا عَادِلاً] صفة لإلهًا٠
وكذا [جَبَّاراً، وَمَلِكاً] عطف على إلهًا٠

وقوله [قَادِرًا قَهَّاراً للذُّنُوبِ غَفَارًا، وَلِلعُيُوبِ سَتَّاراً]
أوصاف لما قبله٠

ولما كان الإقرار لله بالوحدانية لا يفيد إلا بالإقرار لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة٠
أتى المصنف بقوله :
[وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَنَبِينَّا مُحَمَّداًعَبْدُهُ الْمُصْطَفَى] أى المختار من خلقه٠
ومحمد أشرف أسمائه - صلى الله عليه وسلم - ، وقد أوصلها بعضهم إلى ألف اسم٠

[وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى] أى : المختار من جميع خلقه، فهو مرادف للمصطفى، وقدم الوصف بالعبودية لأنه أشرف الأسماء٠

ولذا قال بعضهم على لسان الحضرة المحمدية :
لا تدعنى إلا بيا عبدها *** فإنه أشرف أسمائى

[وَأَمِينُهُ] على أسراره تعالى، التى أمر بكتم بعضها وإظهار بعضها٠
[الْمُقْتَدَى] به فى جميع خصال الخير٠
[وَحَبِيبُهُ الْمُرتَضَى] أى الذى ارتضاه الله لمحبته٠

[شَمْسُ الْضُّحى] أى : هو كالشمس فى الانتفاع به٠
بل هو - صلى الله عليه وسلم - فى الانتفاع أعظم وأتم، بل لا نسبة فى الحقيقية، لأنه أزال ظلمة الكفر بإشراق نور الإيمان، وإظهار مكارم الاخلاق، أو فى الإشراق والإضاءة، بل اضاءة وجهه - عليه الصلاة والسلام- أتم، لكن لما كان المتعارف عند الناس المحجوبين إن اضاءة الشمس أكثر، وقع التشبيه على حسب مجرى العادة، وأضاف الشمس لوقت الضحى؛ لأن نورها فى ذلك الوقت أتم٠

وكذا قوله : [بَدْرُ الدُّجَى] أى : هو كالبدر فى ليلة شديدة الظلمة فى الإنتفاع به، أو فى الحسن والبهاء٠
وقيل شبهه بالشمس فى جماله المعنوى، وبالبدر فى جماله الصورى، وقدم الأول إشارة إلى أن جسمانيته مستمدَّة من روحانيته، كما أن نور البدر مستمَّد من نور الشمس٠

[نُورُ الْوَرَى] أى : هو النور الذى خُلق منه الخلق كلهم، كما فى حديث جابر : « أول ما خَلَقَ الله نور نبيك يا جابر ٠٠٠» إلخ٠

[صَاحِبُ قَـابِ قَوْسَيْنِ أَو ْأَدْنَى]
أى : قرب الله منه ليلة الإسراء كقرب قاب قوسين بل أدنى من ذلك٠
والقاب : ما بين مقبض القوس ومدخل الوتر، فلكل قوس قابان، والقوسان تثنيه القوس، وحينئذ ففى الكلام قلب٠
والأصل : كقابى قوس٠
أى : كقرب أحد القابين من الآخر، والتشبيه بذلك جرى على عادة العرب إذا أرادوا المبالغة فى قرب شىء من آخر٠

وقيل : الكلام على ظاهره، والمراد بالقاب الجنس الصادق بالقابين٠
أى : مقدار ما بين قاب القوسين من المسافة٠
وكانت عادة العرب إذا أراد أحدهم عقد المودة بينه وبين صاحبه، أن يمد قوسه ويوصله بقوس صاحبه، بأن يلصق مقبضه بمقبض الآخر فيلصق قاب كل قوس بقاب الآخر، ويكون ذلك عندهم دليل انعقاد المحبة، ولم يحصل هذا القرب لأحد غيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ٠

[الْثَّقَلَيْنِ]
أى : مرسل إلى الإنس والجنّ، سميا بذلك لثقلهما بالتكاليف أو بالذنوب، ولم يرسل للجنّ رسول قبله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأما سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ ، فكان حاكمًا فيهم لا رسولًا اليهم٠

[وَنَبيُّ الْحَـرَمَيْنِ]
أى : النبى الذى خرج من الحرمين المكى والمدنى، ولد فى الأوّل ونبئ به، وهاجر إلى الثانى و مات به، ولم يخرج منهما نبى قبله، وهما أشرف البقاع٠

قال ـصلي الله عليه وسلمـ : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى »٠

أى : لا تشدّ لشىء من الأمكنة للتبرك بها وزيارتها والعبادة فيها إلاَّ لهذه الأماكن الثلاثة لمضاعفة الثواب فيها، أما شدها لزيارة الاولياء فليس لذات تلك الأماكن والتبرك بها، بل لذات الولى والتبرك به، فاندفع احتجاج بعضهم بهذا الحديث على عدم سنّ زيارة الأولياء٠

[وَإِمَامُ الْقِبْلَتَيْنِ]
أى : الذى صلى بالناس إماماً إلى قبلة الكعبة أولاً، ثم إلى قبلة بيت المقدس، ثم إلى الكعبة٠
بقوله تعالى : { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } ولم يصل نبى غيره إلى هاتين القبلتين٠

وقيل المراد بالقبلتين : قبلة الكعبة بتوجهه لها بظاهره، وقبلة الذات الأقدس بتوجهه لها بباطنه٠ فكان إمامًا لأهل الظاهر والباطن، ولا يعتد بالصلاة التى حصل فيها التوجه إلى الأولى عند أهل الله تعالى، إلا إذا صاحب التوجه للثانية، وإلا كانت غير معتد بها عندهم، وإن أسقطت الفرض ظاهرًا٠

[وَجَدُّ السِّبْطَيْنِ] الحسن والحسين ـ رضى الله تعالى عنهما ـ٠
والسبط : ولد البنت٠

[وَشَفيعُ مَنْ فى الدَّارَيْنِ] أى : الشفيع لأهل الدنيا والآخرة، مؤمنهم وكافرهم٠
أما شفاعته للمؤمنين فى الآخرة : فواضحة مفصلة فى محلها، وكذا الكفار بإراحتهم من طول الوقفة٠
وأما شفاعته للكفار فى الدنيا : فبرفع الخسف والمسخ عنهم، ونجاتهم من القتل بدفع الجزية، وغير ذلك٠

وأما للمؤمنين فى الدنيا : فبرفع الأثقال عنهم التى كانت على الأمم السابقة، كالعفو عن الخواطر الثقيلة والخطأ والنسيان، إلى غير ذلك مما اختصت به هذه الأمَّة المشرفة، ولا يرد أن غيره من الأنبياء والعلماء والصلحاء، يشفعون لأن شفاعتهم بعد شفاعته -صلى الله عليه وسلم-٠

[وَزَيْنُ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ] أى : وما بينهما بظهور نشر شريعته فيهما٠
أو المراد بهما : مشرق الشتاء والصيف ومغربهما، أى محل شروق الشمس وغروبها فى ذلك٠

[وَصَاحِبُ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ] أى : المختص بهما على سائر الأنبياء٠
[رَسُولاً مَكِّياً] مولدًا ومنشأً٠
[مَدَنياً] هجرة ومدفنًا، وهو منصوب بمحذوف، أى : امدح رسولًا الخ٠٠ وهذا توكيد لما تقدم٠
[هَاشِمِيًا قُرَشيًا] أى : منسوب لبنى هاشم الذين هم أشرف القبائل٠
وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر(وهو قريش بن مالك) بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان٠
إلى هنا انتهى النسب الصحيح، وليس فيما بعد إلى آدم طريق صحيح٠

[أَبْطِحِياً] نسبة للأبطح ؛ وهو واد فى مكة المشرَّفة.

[كَرُوبِياً] نسبة للكروبيين بتخفيف الراء ؛ وهم سادات الملائكة وأكثرهم خوفًا من الله تعالى. ولكن الرواية هنا بالتشديد، أى أن صفاته -صلى الله عليه وسلم- كصفات هؤلاء الملائكة، فهو ملكى الصفات مع توفيته للحقوق البشرية.

[رَوحـاً] أى : خالصا من غوائل النفوس فلم يبقى له رعونة نفس، بل صار كله روحًا ليس فيه كثافة.

[رُوحَانِيًّا]
أى : تغلب روحانيته على جسمانيته - صلى الله عليه وسلم -بحيث يصير له قدرة على التطور، والتبدل فى الصور كالملائكة.
لأن ذاته الشريفة كما قال سيدى عبد العزيز الدباغ فى الإبريز :
نورًا يرى بها - صلى الله عليه وسلم - فى أماكن كثيرة فى المنام أو فى اليقظة.
وذلك لأن لذاته - صلى الله عليه وسلم - نورًا منفصلاً عنها قد امتلأ به العالم كله، فما من موضع منه إلا وفيه النور الشريف.

ثم هذا النور تظهر فيه ذاته - صلى الله عليه وسلم - كما تظهر صورة الوجه فى المرآة، فانفصال النور بمثابة مرآة واحدة ملأت العالم كله، والمرتسم فيها هو الذات الكريمة.

فمن هنا كان يراه - صلى الله عليه وسلم - رجلاً فى المشرق، وآخر بالمغرب، وآخر بالجنوب، وآخر بالشمال، وأقوام لا ينحصرون فى أماكن مختلفة فى آن واحد، وكل يراه عنده، وذلك لأن النور الكريم الذى ترسم فيه الذات مع كل واحد منهم.

والمفتوح عليه : هو الذى إذا رأى الصورة التى عنده تبعها ببصيرته ، ثم يخرق بنورها إلى محل الذات.

وقد يقع هذا لغير المفتوح عليه بأن يمّن الله عليه برؤية ذاته الكريمة، وذلك بأن ذلك بأن يجيئه إلى مكانه إذا علم منه - عليه الصلاة والسلام - كمال المحبة والصدق فيها.
فأمر المسئلة موكول إلى - النبى صلى الله عليه وسلم - فإذا شاء أراه ذاته، وإن شاء أراه صورتها، أو كل ذلك بوعد الله تعالى.

وله ظهور فى صور أخر : وهى صور عدد الأنبياء والمرسلين، وصور عدد الأولياء من أمته - عليه الصلاة والسلام - من لدن زمانه إلى يوم القيامة.

والعدد الصحيح فى الأنبياء غير معروف، وقيل : أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا.
فله - صلى الله عليه وسل م- من الصورة مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، ومثل هذا العدد فى أولياء أمته فله الظهور فى مائتى ألف وثمانية وأربعين ألفًا، لأن الجميع مستمدون من نوره - صلى الله عليه وسلم- ومن هنا يقع كثيرًا للمريدين رؤيته فى ذوات أشياخهم اه.

[تَقِيًا] أى : لم يصدر عنه ذنب مطلقًا، لا قبل النبوة ولا بعدها.
وأما استغفاره - صلى الله عليه وسلم - فمن باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وذلك أنه دائم الترقى فى المقامات العلية، فكلما ارتقى لمقام رأى أن ما كان قبله نقص فيستغفر الله تعالى لأن ذلك ذنب بالنسبة له - صلى الله عليه وسلم -.
وهذا هو المراد بقوله تعالى : { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ }

[نَقِياً] أى : طاهرًا من الدناءة والرذائل.

[نَبِياً كَوْكَبًا دُرِّيًا] أى : مضيئًا.
بكسر الدال وضمها، من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام.
وبضمها منسوب إلى الدر اللؤلؤ، قاله الجلال المفسر اه.
وشبهه - صلى الله عليه وسلم - بذلك الكوكب لشدة إضاءته إضاءة معنوية، وسرعة سيره بهمة إلى ما يرضى مولاه.

وقيل الكوكب الدرى : نجم يظهر قريبًا من انشقاق ضوء الصبح فى شدة الظلام، ولا شك أن الزمان الذى ظهر فيه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - كان زمان فترة، والغالب فيه استيلاء ظلمة النفوس والطباع على أنوار الأرواح والقلوب، وبظهوره - صلى الله عليه وسلم - انشق صباح الهدى والتوفيق، فقد أشبه الكوكب الدرى فى ظهوره وقت الظلام.

[شَمْسًا مُضِيًّا]
أى : أنه من حيث عموم رسالته - صلى الله عليه وسلم - ، وظهورها فى جميع الآفاق، وعموم رحمته إلى جميع الخلائق، كالشمس التى تظهر فى جميع الأماكن.
وقوله [مُضِيًّا] صفة مخصصة لشمسًا، احترز به عن شمس فى وجهها حمرة وقت الطلوع، أو الغروب، أو سحاب.

وقيل المراد : أنه شمس إلهى مضئ على بواطن المحجوبين عن ضياء نور النبوَّة والولاية.
واعلم أنه يحتمل أن يكون هذا مدحًا لرسالته - صلى الله عليه وسلم - بظهورها وعمومها، وما مر من قوله " شمس الضحى " مدح لذاته الشريفة، ويحتمل أن يكون هذا كالدليل لذاك.

وكذا يقال في قوله :
[قَمَرًا قَمَرِيًّا] وما بعده.
أى : أنه من حيث ظهور نبوّته فى زمان الكفر كالقمر، أو أنه من حيث جماله المعنوى ؛ وهو ما اشتمل عليه من الصفات، وكماله الصوري ؛ وهو ما ظهر من حسن ذاته كالقمر الخالص الذى ليس فيه علة، كما يفيد وصفه بقمريًا.

وقيل المعنى : أنه كالقمر من حيث أن صفاته الكمالية تزداد فيه شيئًا فشيئًا، كازدياد القمر من مبدأ كونه هلالاً إلى أن يصير بدرًا.
أو وصفه بقوله [قَمَرِيًّا] إشارة إلى استعداده - صلى الله عليه وسلم - للكمال فى أطوار البشرية.

[نُورًا نُورَانيًّا]
أى : أنه من حيث كون رسالته خالصة من شوائب الأغراض كالنور النورانى٠
أى : الخالص من شوائب الظلام، أو خلوصه من كثافة البشرية، ولذا كان لا يقع له ظلًا على الأرض، لأن النور لا ظل له٠
وكان كريمًا لطيفًا بسَّامًا، نومه الإغفاء، ومشيه الهوينا٠

قال صاحب الإبريز : سألت شيخنا الدباغ عن مشيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
هل كان يتكفأ يمينًا وشمالًا كما فى بعض الروايات ، أو كان يتحدر إلى أمام كما فى رواية كأنما ينحط من صبب ؟
فأجاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ بقوله : كان يتكفأ يمينًا وشمالًا٠

ثم قال : وكنت فى موضع معه ليس معنا ثالث، فقال لى : حتى أريك كيف كان يمشى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دار الدنيا حال حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
فخطا أمامى نحو من ستين خطوة، فرأيته يتكفأ يمينًا وشمالًا، ورأيت مشيته كاد يطير عقلى من جمالها٠
فرضى الله عن الشيخ ما أصح علمه بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لأنه كان يراه يقظة ونومًا فى صورة شيخه مع أنه كان أميًّا، والله أعلم اه٠

قال أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ :
خدمته عشر سنين فما نهرنى، ولا قال لى لشىء فعلته لم فعلته، ولا لشىء تركته لم تركته، وكان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه٠
ولذا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه :
« أقيموا ركوعكم وسجودكم فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى »٠ اه

وسر هذا الحديث :
أن الحجاب الذى بين روحه، وبين الذات الشريفة أزيل بشق الملائكة صدره وهو صغير، فوقع الالتحام والاصطحاب بين روحه وذاته الشريفة، فصارت الذات الشريفة تطلع على ما تطلع عليه روحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فلذا كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه٠

مع أن روحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تملأ السموات والأرض بنورها، وأسرارها، ومع ذلك فقد انطوت ذاته الطاهرة على روحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، واحتوت على جميع الأسرار، فسبحان من أقدر هذه الذات الكريمة على ذلك، وكل ذلك لنورانيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ٠

ولذا قال بعضهم : أن وضع الحجر على بطنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس لرفع ألم الجوع، بل ليمنعه من الجذبة السبحانية، والاستغراق فى مشاهدة الذات الأحدية الأقدسية، ليتمكن من مخالطة الخلق، لأن الحجر من كثائف الدنيا، أى : لأن روحانيته غلبت على بشريته فلا يتألم من الجوع، ولا من العطش٠

ولنرجع لما نحن فيه فنقول : قال المصنف :
[بَشِيرًا] أى : مبشرًا للمؤمنين بالجنة [نَذَيرًا] أى منذرًا للكافرين بالنار ۰

[سِرَاجًا مُنِيرًا] أى : يستنار به من ظلمات الجهالة، وتستنير من نوره أنوار البصائر، فكل خلق من أخلاقه الشريفة سراج لأمته، وكل من تخلق بخلق من أخلاقه كان سببًا لنجاته، وشفاعته فيه يوم القيامة۰

فمن أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - :
إيثار الفقر، ومجالسة الفقراء، وأكل خبز الشعير، وعيادة المريض، وشهود الجنازة، ولبس الخشن من الثياب، وركوب البغال والحمير والأبل، وارداف الغير خلفه، والمشى حافيًا وراجلًا، وتحمل الأذى ۰۰إلى غير ذلك من الأخلاق الشريفة۰
فانظر أيها السالك فى هذا الزمان كيف صارت السُّنة بدعة، والبدعة سُّنة۰

ولما كان -صلى الله عليه وسلم- مُتَّصِفًا بهذه الصفات العالية، استحق أن يصلى عليه، فلذا قال الشيخ المصنف :
[صَلَّىَ الله تَعَـالَى وَسَلَمْ عليهِ]
وقد ورد في فضل الصلاة عليه أحاديث كثيرة ، كقوله - عليه الصلاة والسلام - :
« الدعاء محجوب حتى يصلى علىَّ »۰
أى : فتطلب الصلاة عليه فى أوَّل الدعاء، وأوسطه، وآخره۰

والقصد من الصلاة عليه تعظيمه - صلى الله عليه وسلم - بسبب ما أسداه لنا من المعروف، لا انتفاعه بها - صلى الله عليه وسلم -۰
وإن كان القول الصحيح أنه ينتفع بصلاتنا عليه ويزداد بها كمالاً، لأنه ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه، لكن لا ينبغى التصريح، ولا التشدق بذلك، كما قيل :

وصححوا بأنه ينتفع *** بذى الصلاة شأنه مرتفع
لكنه لا ينبغى التصريح *** لنا بذا القول وذا صحيح

قال فى " الأبريز " نقلا عن الشيخ عبد العزيز الدباغ :
إن الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - لم تشرع لقصد نفع النبى - صلى الله عليه وسلم -، وإنما شرعت لقصد نفعنا خاصة۰
فليحذر المصلى علي النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يظن ويعتقد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - ينتفع بالصلاة عليه، ويفرح، ويستبشر، ويزيد في القراءة، ويبالغ بالصلاة، ويرفع بها صوته، كما يقع ذلك فى قراءتهم الدلائل ونحوها، ويحس بها خارجة من عروق قلبه، ويعتريه خشوع، وتنزل به رأفة عظيمة، ويظنّ أنه فى حالة ما فوقها حالة۰

وهو فى هذا الظنّ على خطأ عظيم، فلا يصل بصلاته هذه إلى شىء من الله تعالى ؛ لأنها متعلقة بما ظنه، وصوره فى فكره، وظنه باطل، والباطل لا يتعلق بالحق تعالى، ولا يتصل به تعالى إلا ما هو الحق فى نفس الأمر ۰

فليحذر المصلى من هذه الآفة العظيمة فإن أكثر الناس لا يتفطنون لها، ويظنون أن تلك الرأفة والحلاوة حاصلة لهم من الله تعالى، وإنما هى من الشيطان ليدفعهم بها عن الله تعالى، ويزيدهم بها بعدًا على بعد.

وإنما ينبغى للمصلى على النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يكون الحامل له على الصلاة محبته وتعظيمه، وامتثاله أمره - صلى الله عليه وسلم -، فحينئذ يشتعل نورها كما سبق من الرأفة وغيرها، وإن كان الحامل عليها نفع العبد المصلى، فإنه يكون محجوبًا وينقص أجره، والله الموفق.

[وعَلَى آَلِهِ] أتقياء أمته.
[وَأَصْحَابِهِ] الذين اجتموا به - صلى الله عليه وسلم - اجتماعًا متعارفًا بعد نبوته فى حال حياته - صلى الله عليه وسلم-.

[وَأَزْوَاجِهِ]
الطاهرات اللاتى دخل بهنّ - صلى الله عليه وسلم -، وهنَّ إحدى عشرة بلا خلاف :
فسودة فعائشة فحفصة فزينب بنت جحش فجويرية فأم حبيبة فصفية فميمونة فزينب بنت خزيمة فأم سلمة. ومات صلى الله عليه و سلم- عن تسع.

[وَأَوْلَادِهِ]
السبع : القاسم فزينب فرقية ففاطمة فأم كلثوم فعبد الله (ويلقب بالطيب) والطاهر فابراهيم .
وترتيبهم في الولادة هكذا.

[وَخُلَفَائِهِ] الذين خلفوه فى القيام بالدين، ومصالح المسلمين.
وتجوز الصلاة والسلام على غير الأنبياء والملائكة تبعًا لا استقلالاً.
ولا يرد قوله - صلى الله عليه وسلم - : اللهم صلِّ على آل بنى أوفى، لأن ذلك من خصائصه - صلى الله عليه وسلم-.

قال بعضهم :
" الصلاة والسلام للأنبياء والملائكة، والترضى للصحابة والأولياء والعلماء الربانيين، والترحم لمن دونهم، والعفو للمذنبين.
وقيل السلام : مرتبة بين مرتبتى الصلاة والترضى، فيحسن أن يقال : عليه السلام، لمن منزلته بين المنزلتين.
أعنى : ما اختلف فى نبوَّته ؛ كلقمان والخضر وذى القرنين ، ولمن دونهم.

ثم وصف المصنف الخلفاء بقوله :

[الرَّاشِدِينَ] أى : الذين أرشدهم الله تعالى إلى دين الإسلام، ومكارم الأخلاق.
[الْمُرْشِدِينَ] أى : الذين أرشدوا غيرهم إلى ذلك.
[الْمَهْدِيِّينَ] تفسير للراشدين.

وقوله [مِنْ بَعْدِهِ] صفة للخلفاء٠
[خُصُوصًا] منصوب بمحذوف، أى : أخص بالصلاة والسلام خصوصًا٠
[مِنْهُم] أى من الخلفاء الراشدين، وخصَّ من بينهم أبا بكر لأنه أفضلهم، وترتيبهم فى الفضل على ترتيب خلافتهم٠

فقد روى عن محمد بن الحنفية، أنه قال : قلت لأبى يعنى عليًّا - كرم الله وجهه - :
أىُّ الناس خير بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؟
فقال : أبو بكر٠ قلت : ثم من ؟ قال : عمر٠ قلت ثم من ؟ قال : عثمان٠ قلت : ثم من ؟ فسكت٠

[عَلَى] زائدة٠
[الشَّيْخِ] وهو أوَّل من لقب بشيخ الإسلام، وكذا عمر - رضى الله عنهما -٠
والمُلَقِّب لهما علىٌّ بن أبى طالب، حيث جاء رجل وقال :
يا أمير المؤمنين سمعتك تقول على المنبر " اللهم أصلحنى بما أصلحت به الخلفاء الراشدين " فمن هم ؟ فقال : أبو بكر وعمر إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -٠

[الشَّفِيقِ]
أى كثير الشفقة على عباد الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - : « أرأف أمتى أبو بكر »٠
[قَاتِلِ الزِّنْدِيقِ]
أل فيه للجنس، لأنه فى خلافته قتل كثيرًا من الزنادقة ؛ أى الكفار الذين ارتدوا عن الإيمان، واجتمعوا على مسيلمة الكذاب، فأرسل لهم جيشًا قاتلوهم، وقتل مسيلمة ومن معه٠

وخرج بنفسه أيضًا إلى قتال المرتدين الذين اجتمعوا على رجل يقال له طليحة يّدعى النبوة، فقتله ومن معه، ثم فتح الأنبار، وعين التمر، وبصرى٠

[وَفِى الغَارِ الرَّفيقِ]
أى : الذى هو رفيق النبى - صلى الله عليه وسلم - فى الغار، أى : غار ثور، وهو جبل فى طريق منى بينه وبين مكة مسيرة ساعة فلكية٠

روى : أنه دخل قبل النبى - صلى الله عليه وسلم - ليصلحه، فسدَّ ما فيه من الثقب، ولم يبق إلا ثقب واحد، فسدَّه برجله فعضه ثعبان كان فيه، ولم يرفع رجله٠
فلما دخل النبى - صلى الله عليه وسلم - وجده متغيرًا فسأله عن ذلك، فأخبره بعضّ الحية لرجله٠
فقال - صلى الله عليه وسلم - : خل سبيلها فإنها تزورنى، وأخذ من ريقه الشريف، ووضعه على رجله فشفيت، وخرجت الحية، واعتذرت للنبى -صلى الله عليه وسلم- وتشفعت به عند ربه٠

[المُلَقَّبِ بِالْعَتِيقِ]
لعتقه من النار كما فى حديث : « من سرَّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر »٠
أو لعتاقة وجهه وجماله، وقيل غير ذلك٠

[الإمامِ عَلَى التَّحْقِيقَ]
أى : هو حقيق بالإمامة، أى : التقدّم على غيره ، ،-لأنه - صلى الله عليه وسلم - استخلفه فى الحج سنة سبع من الهجرة، وفى إمامة الصلاة فى حياته، وصحته، ومرضه - صلى الله عليه وسلم - فكان حقيقًا بالإمامة.

[أميرِ المؤمنِين أبى بَكْرٍ]
كنيته، ولا يلزم من ذلك أن يكون له ولد اسمه بكر .

[الصِّدِيق]
لقبه أيضا، ولقب بذلك لكثرة صدقه، ومبادرته إلى تصديق النبى - صلى الله عليه وسلم -.
وفى الحديث : « يا أبا بكر إن الله سمَّاك الصِّديق ».
وفى الخبر : « قلت لجبريل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - :
إن قومى لا يصدّقونى، فقال : يصدقك أبو بكر ».

وهو الصدِّيق الحقيقى، وكان يسمى فى الجاهلية " عبد الكعبة " فسماه - صلى الله عليه وسلم - عبد الله، وهو ابن أبى قحافة عثمان بن عامر ابن عمر ، بن كعب بن سعد ابن تميم بن مرة بن كعب ابن لؤيّ بن غالب بن فهر .

يلتقى مع النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مرّة، وأمه أم الخير سلمى بنت صخرين عامر، تجتمع مع زوجها فى عامر، وهو سيد الصوفية فى المشاهدة والمراقبة، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يومًا، ومات ليلة الثلاثاء، وقيل يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى سنة ثلاث عشرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة - رضى الله عنه -.

ثم ذكر المصنف بقية الخلفاء لمزيد الاعتناء بهم بقوله :
[ثمَّ السلامُ] ثم هنا وفيما يأتى لمجرد الترتيب فى الأخبار، فهى بمعنى الواو .
[مِنَ الْمَلِكَ الْوَهَّابِ إلى الأَمِيرِ الْأَوَّابِ] أى : كثير الأوبة، أى : الرجوع إلى الله تعالى.

[زَيْنِ الأَصْحَابِ]
أى مزينهم بزهده وتقواه وسيرته الحميدة، فقد سماه - صلى الله عليه وسلم - بالفاروق، لأنه فرق بين الحق والباطل، وسعى فى إظهار الدين، وأعز الله به الإسلام، ببركة دعائه - عليه الصلاة والسلام -، وفتح فى زمن خلافته أمصار كثيرة.

وهو أوَّل من سمى بأمير المؤمنين، وأوَّل من أَرخَ ، وأوَّل من دوَّن الدواوين، وقد ثبت أن الشياطين تفرّ منه، وأن من كتب اسمه بريقه على صدره لم يحتلم فى ليلته، وقد جرب ذلك مرارًا.
وإذا وقع فى وسط الرياح المختلفة فقال : يا عمر مرارًا لم تضرّه الجنّ، وكذا من وقع فى بحر النيل فقال : يا عمر مرارًا فإنه لا يغرق، إلى غير ذلك من كراماته -رضى الله تعالى عنه-.

[مُجاوِرِ الْمَسْجِدِ والْمِحْرَابِ]
أى : كثير العبادة فى المسجد حتى صار كإنه مجاور فيه، مع قيامه بمصالح العباد، فهو قدوة الصوفية فى المجاهدة ولبس الخرقة، فقد كان له يوم ولىَّ الخلافة ثوب فيه ثلاث عشرة رقعة إحداهما من أدم٠

[النَّاطِقِ بِالصِّدِقِ وَالصَّوَابِ]
فى حكمه، ومواعظه، وغير ذلك، فقد روى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشار أبا بكر وعمر فى أسارى بدر، فأشار عليه أبو بكر فى أخذ الفداء، وَعمر بضرب أعناقهم، فهمَّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما قاله أبو بكر، فنزل قوله تعالى :
{ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى } الآية، فقال ـصلى الله عليه وسلمـ :
« لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه إلا عمر » الحديث٠

[المَذْكُورِ فِى الكِتَابِ]
أى القرآن العظيم، قال تعالى : { قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ } الآية٠
فالمراد بالقوم : أهل فارس، والإمام الداعى فى ذلك : عمر بن الخطاب، وفى رواية : ابن جريج٠

ونقل بعض المفسرين عن ابن عباس فى قوله تعالى : { يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ }
قال بعضهم :
تخاصم منافق ويهودي فى أمر، ورفع الأمر إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـفحكم على المنافق، فلم يرضى بذلك، وقال نرفع الأمر إلى عمر بن الخطاب، فلما ترافعا إليه، شرح اليهودى حاله وذكر مرفاعتهما إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأن المنافق لم يرض بحكمه٠

فقال : اصبر حتى أخرج إليكما ثم أحكم بينكما، فدخل ـ رضى الله تعالى عنه ـ بيته ثم خرج وبيده سيف، فضرب عنق المنافق، وقال : هكذا أحكم وأمضى لمن لم يرضى بقضاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلمـ، فنزل جبريل بالآية، فقد ذكر فى الكتاب بهذا الاعتبار٠

[أَمِيرُ المؤمنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ]
ابن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن رقط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، يلتقى مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كعب، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم٠
بويع يوم موت الصدِّيق ـ رضى الله تعالى عنهما ـ ، وكانت مدة خلافته عشر سنين، وستة أشهر إلا يوما، وتوفى سنة ثلاثة وعشرين من الهجرة، وهو ابن خمس، وقيل ثلاث وستين سنة٠
[رضى اللهُ عنه]

[ثُمَ السَّلامُ مِنَ الْمَلكِ الْمَنَّانِ] أى : كثير المنة على عبادة.
[إلى الأميرِ الأمَانِ]
أى : الأمين الذى لم يظهر منه خيانة فى أمور الدنيا والدين، وهو أفضل الأئمَّة بعد أبى بكر وعمر، ولما أمر - صلى الله عليه وسلم - ببيعة الرضوان، وكان قد بعث عثمان إلى مكة، وحصلت المبايعة، وضع -صلى الله عليه وسلم- يده الثانية وقال :
هذه عن عثمان وزوَّجه ابنته رقية ثم أم كلثوم، ولذا لقب بذى النورين.

[حَبِيبِ الرَّحْمَنِ] لمسارعته فى رضاه وإثابته إياه، فإن محبة الله للعبد : اثابته، ومحبة العبد له : طاعته.

[جَامِعِ القُرآنِ]
ثانيًا بعد جمعه أوَّلا فى زمن أبى بكر، لما رأى من اختلاف القرآن حتى كاد أن يؤدِّى إلى الكفر، فتشاور مع الصحابة وجمعوا المصاحف، واستخرجوا منها الصحيح ثم حرقوها، وكتب أربع مصاحف بخطه، أرسل واحدًا إلى البصرة، وواحدًا إلى الشام، وأبقى عنده فى المدينة واحدًا، وهو الذى يسمى بالإمام.

وأما جمع أبى بكر الأوَّل، فكان لما رأى من كثرة قتل الصحابة الذين يحفظون القرآن باليمامة، فخاف من ضياعه بموت باقى من يحفظه.

[صَاحِبِ الْحَيَاءِ وَالإيمانِ]
فكان يستحى من الله حق الحياء، فلم يفعل ما يغضبه تعالى، ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فلا يدخل عليه إلا بإذنه، ولا يفتح كلامًا بحضرته، ولشدة حيائه كانت تستحى منه الناس والملائكة.

فعن عائشة أنها قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مضطجعًا فى بيته كاشفًا ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحالة، واستأذن عمر فأذن له وهو كذلك، ثم استأذن عثمان فجلس -عليه الصلاة والسلام- وسوَّى ثيابه.
فلما خرجوا قلت يا رسول الله : دخل أبو بكر وعمر فلم تهتش ولم تسأل عنهما، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك ؟ قال : أستحى من رجل تستحى منه الملائكة.

[الشَّهِيدِ] أى المقتول ظلمًا [عَلَى الْفُرْقَانِ] أى : مع كونه يقرأ القرآن فنزل دمه على المصحف الذى يقرأ فيه.

[أَمِير الْمؤمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ]
بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ القرشىّ الأموىّ، يلتقى مع النبى - صلى الله عليه وسلم- فى مناف، وأمُّه أروى بنت كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف.

بويع بعد وفاة عمر - رضى الله تعالى عنهما - بثلاثة أيام، يوم الجمعة غرّة محرّم، ومدة خلافته إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهرًا، وثلاثة عشر يومًا، ثم قتل شهيدًا بعد أن حوصر فى داره تسعة وأربعين يومًا، وقيل شهرين، وعشرين يوما، ونحو ذلك، وهو يومئذ صائم، وفتح فى خلافته أمصارا كثيرة ؛ منها نيسابور وفارس وخراسان، وغير ذلك۰
[رضى اللهُ عنه]

[ثُمَّ السَّلامُ مَنَ المَلِكِ الوَلِّى إلَى الأَمِيرِ الْوَصِىِّ]
على أهل بيته -صلى الله عليه وسلم-، حيث خلفه فيهم فى غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله أتخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال له :
« أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا إنه لا نبىّ بعدى »۰

[ابْنِ عَمِّ النَّبِىِّ]
لأنه ابن أبى طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطل جَد النبى -صلى الله عليه وسلم-۰
ويقال له شيبة الحمد، وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام، وهو رابع الخلفاء، بويع له يوم موت عثمان فى الثامن عشر من ذى الحجة، سنة خمس وثلاثين، وقيل في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة مضت منه سنة أربعين، وقد بلغ سبعة وخمسين سنة، وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ۰

[قالِعِ البَابِ الخَيْبَرِىِّ]
أى : المنسوب لخيبر، وهى مدينة اليهود قريبة من المدينة المشرفة على ساكنها - أفضل الصلاة والسلام -، وفى غزوتها بعث إليها -صلى الله عليه وسلم- جماعة فلم يحصل الفتح على أيديهم، فقال - صلى الله عليه وسلم - : لأعطين الراية غدًا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، فكل واحد يرجو أن يعطيها إياه، فلما جاء الغد قال : احضروا الى عليًا، فقالوا إن به رمدا، فقال : احضروه، فأحضروه وهو واضع يديه على كتف رجل، فأعطاه الراية ففتح الله على يديه، كما هو مذكور فى محله۰

[زَوْجِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ] وسميت بذلك لضياء نور وجهها، أو لأنها لم تحض قط - رضى الله عنها وعن أولادها -۰

[وَارِثِ عُلُومِ النَّبِىِّ]
كما أشار لذلك قوله -صلى الله عليه و سلم- : « أنا مدينة العلم وعلّى على باباها، فمن أراد المدينة فعليه بالباب »۰

وهو آخر الخلفاء كما كان النبى - صلى الله عليه وسلم - آخر الأنبياء، وقد ورث علم الأوّلين والآخرين - رضى الله تعالى عنه -، وقد صنف الجفر الجامع لأسرار الحروف، وفيه ما جرى للأولين، وما يجرى للآخرين، وفيه اسم الله الأعظم، وتاج آدم ، وخاتم سليمان عليهما السلام، وحجاب آصف۰

[أَمِيرِ الْمُؤمِنِيَن عَلِيٍّ الَّرضِيِّ] أى : الراضى بقضاء الله تعالى.
فإنه وقع له فى أيام خلافته وقائع ومحن لم تقع لغيره، حتى قتله أشقى الناس " عبد الرحمن بن ملجم "، ومع ذلك صبر ورضى ليفوز برضاه تعالى، ومما رضى به أنه مكث فى فراش النبى - صلى الله عليه وسلم - حيث هاجر، فجعل نفسه فداء له - صلى الله عليه وسلم - ، ورضى بالقتل إذ هجم الكفار عليه.

قيل نزل فى شأنه قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } الآية.
ولهذا وصفه المصنف بقوله :
[السَّخِيِّ] أى : الذى يجود بنفسه وماله فى مرضاة الله تعالى.

[الْوَفِىِّ]
أى : الذى وفى بما أمره الله به من التكاليف، وبما عليه من النذور، على ما قيل أنه نزل فى شأنه سورة { هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ } .

فقد روى عن ابن عباس بسند واه، أن الحسن والحسين - رضى الله تعالى عنهما - مرضا، فعادهما النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أناس.
فقالوا يا أبا الحسن : لو نذرت على ولديك، فنذر على وفاطمة - رضى الله عنهما - وفضة جارية لهما، صوم ثلاثة أيام إن برئا، فشفيا، وما معهما شىء.

فاستقرض علىٌّ من شمعون الخيبرى ثلاثة آصع من شعير، فطحنت فاطمة - رضى الله تعالى عنها - صاعًا، واختبزت خمسة أقراص فوضعتها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، فأصبحوا صيامًا، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، فوقف عليهم يتيم فآثروه، ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك.
فنزل جبريل بهذه السورة، وقال : خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك.

[رضى اللهُ عنه وكَرَّمَ وَجهَهُ]
قيل خص بذلك لأنه لم يسجد لصنم قط حتى كان يمنع أمّه من السجود وهو فى بطنها، مع أنه أسلم صغيرًا، وهو ابن سبع سنين.

[ثُمَّ السَّلَامُ عَلَى الإمَامَيْنِ]
المقدَّمين فى الفضل والشرف على سائر الخلائق، من حيث البضعة الشريفة.

فقد روى إنه لما سئل - صلى الله عليه وسلم - أىّ بنيك أحب اليك ؟ فقال :
« الحسن والحسين هما ريحانتاى فى الدنيا، وسيدا شباب أهل الجنة فى العقبى، وأنه أجلسهما على وركيه وقال : « اللهم هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما »».

[الهُمَامَينِ] أى : الممجدين المعظمين٠
[السَّعِدَيْنِ] لتبشيره - صلى الله عليه وسلم - لهما بالجنة٠
[الشَّهِدَيْنِ] أى : المقتولين ظلمًا؛ أما الحسن فبالسم من زوجته بإغراء الأعداء لها على ذلك، وأما الحسين فقصته مشهورة٠
فقوله [المَظْلُومَيْن المَقْتُولَيْن] تفسير لذلك، وتفسير قصة قتلهما مما ينبغى تركه٠

[الشَّمْسَيْنِ القَمَرَيّن البَدْرَيْنِ]
أى : هما فى عصرهما كالشمس؛ فى أن كمالهما المعنوى مشرق على جميع الناس، فيستمدون منهما العلوم، والمعارف، ومكارم الأخلاق٠
وكالقمر الذى تكامل حتى صار بدرًا؛ فى أن جمالهما الصورى يضىء إضاءة تامة٠
فقوله البدرين : صفة للقمرين٠

[الحَسِيبَنِ النَّسِبَيْنِ] أى : المنسوبين لذى المفاخر السنية٠
والحَسَب : هو مفاخر الإنسان الحاصلة له فى ذاته؛ ككرمه وشجاعته٠
والنَسَب : المفاخر الحاصلة فى آبائه٠

[بِالْقَضَاءِ الرَّاضِيِيْن] أى : بما قضاه الله عليهما من البلايا والمحن٠
[وَعَلَى البَلَاءِ الصَّابِرَيْنِ] أى : والصابرين على ذلك٠
والرضا أعلى مرتبة من الصبر، لأن الصبر حبس النفس عن الجزع قهرًا عنها٠
والرضا بالشئ : اختياره على غيره٠
وكان بلاؤهما لرفع درجاتهما، فإنه للمقرَّبين رفع درجات، وللأبرار محو سيئات، وللغافلين زيادة عقوبات٠

قال الجنيد - قدس سره - : البلاء سراج العارفين، وتنبيه للمريدين، وهلاك للغافلين٠
وأوحى الله إلى موسى : « إنى إذا أحببت عبدًا ابتليته ببلاء لا تقوم له الجبال لأنظر كيف صدقه، فإن وجدته صابرًا اتخدته وليًا وحبيبًا، وإن وجدته جزوعًا يشكونى إلى خلقى خذلته ولا أبالى »٠

[أَمِيرَىِ الْمؤمِنِينَ]
[أَبِى مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ] كنى بذلك لأن محمد أكبر أولاده الذكور الاثنى عشر٠
[وأَبِى عَبْدِ الله الحُسَيْنِ] كنى بذلك لأن عبد الله أكبر أولاده الذكور الأربعة٠
[رَضِىَ الله ُعنهُما]

والسلام أيضًا [عَلَى العَمَّيْنِ] أى : عمى النبى - صلى الله عليه وسلم -
[الكَرِيمَيْنِ المُكَرَّمَيْنِ] أى : اللذين أكرمهما الله تعالى فى الدنيا والآخرة٠
[الشُجَاعَيْنِ] عند ملاقاة الأعداء٠
[المُعَظِمَيْنِ] عند الله، وفى أعين الناس٠
[المُحْتَرَمَيْن حَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ]٠

والسلام أيضًا على [جَمِيعِ الصَّحَابَةِ]
الذين اجتمعوا به - صلى الله عليه وسلم - مؤمنين بعد البعثة كما مر، وكانوا ثمانين ألفًا، وقيل أربعين ألفًا، وقيل غير ذلك.
وأعاد المصنف السلام على من ذكر استقلالا بعد السلام عليهم تبعًا لمزيد الاعتناء بهم.

ثم بين الصحابة بقوله [مِنَ الْمُهَاجِرِينَ] أى : الذين هاجروا مع النبى - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة، وتركوا أوطانهم بما فيها.

وقوله [وَالْأَنْصَارِ] على حذف العاطف، أى : والأنصار.
وهم : الأوس والخزرج من أهل المدينة، سموا بذلك لقيامهم بنصرة النبى - صلى الله عليه وسلم - وكانوا أحب الناس إليه.
ولذا قال - صلى الله عليه وسلم - : « لو سلك الناس واديًا، وسلك الأنصار شعبًا، لسلكت شعب الأنصار ».
وقال -صلي الله عليه وسلم- : « اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار ».
إلى غير ذلك من الأخبار.

[وَالتَّابِعِينَ الْأَخْيَارِ] صفة لكل من الصحابة والتابعين، وهى صفة كاشفة لأن كلهم أخيار.
[وَالْأَبْرَارِ] كذلك هو عطف على الأخيار.
[رَضْوَانُ اللهِ تَعَالَى] أى : رضاه التام [عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِيَن]
[وَسَلِّمِ تَسْلِيمًا] على جميع من ذكر، وهو مجرد توكيد.
[وَعَظِّمْ تَعْظِيمًا] لهم [دَائِمًا أَبَدًا]
[وَحَمْدًا] منصوب بمحذوف، أى : وأحمد حمدًا [كَثِيرًا]
تأكيد لفظى، أى : على حسب الأصحاب والاتباع، ومدحهم والدعاء لهم ضمن هذا الورد الشريف.

[إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْقَرَارِ]
أى : يوم القيامة الذى يجمع فيه الناس ثم يستقر أهل كل دار فيها.
والقصد استقرار ثواب الحمد إلى ما لا نهاية له على عادة العرب، أنهم يؤقتون بالمدة الطويلة، ويريدون الاستمرار.
وهذا آخر ما يجهر به التالى.

ثم يسكت، ويقرؤن جميعًا دعاء الإخفاء سرًّا، ومن لم يحفظه يؤمن على غيره بان يقول آمين فى سره، وهو :
[اللَّهُمَّ زَيِن ظَوَاهِرَنَا] جوارحنا [بِخِدْمَتِكَ] بالصلوات، والأذكار، والأدعية، والتوجهات على ما ينبغى لجلال وجهك٠

[وَبَوَاطِنَنَا بَمَعْرِفَتِكَ] بعد طهارة نفوسنا من الأدناس، ومعرفة ما احتوت عليه من العلائق والعوائق، لما فى حديث : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »٠

[وَقُلوبَنَا بِمَحَبَتِكَ] حتى لا يبقى فيها سواك من أمور الدنيا والآخرة٠
[وَأَرْوَاحَنَا بِمُعَاوَنَتِكَ] لها على ما تتوجه إليه٠
[وَأَسْرَارَنَا بِمُشَاهَدَتِكَ] بعد تخلصها من خبائث الطباع، وفنائها عن الأغيار، ووصولها إلى مقام فناء الفناء، فعند ذلك يحصل لها مشاهدة محبوبها عيانًا٠

[اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِى قَلبِى نُورًا] أهتدى به إلى محبتك وطاعتك٠
[وَفِى سَمْعِى نُورًا] أسمع منك كل خير، وأحتجب به عن سماع الغير٠
[وَفِى بَصَرِى نُورًا] أبصر به ما يرضيك، وأستقر به إلى رؤيتك، أى : رؤية فعلك فى المظاهر٠

[وَعَنْ يَمِينِى نُورًا، وَعَنْ شِمَالِى نُورًا، وَفَوْقِى نُورًا، وَتَحْتِى نُورًا، وَأمَامَى نُورًا، وَخَلْفَى نُورًا] حتى أكون نورًا من الجهات الست، مبالغة فى الحفظ، وإن كان الشيطان يأتى من جهات أربع كما قال الله تعالى :
{ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ }
فإذا حصل هذا النور لا يقدر على الوصول إلى بوسوسته، وإغوائه٠

[وَاْجعَلْ لِى نُورًا] أصل به إلى قرب حضرتك المحمية٠
[وَاجْعَلْنِى نُورًا] بأن أتخلص من كثافة البشرية، وأنجذب بقلبى إليك جذبًا دائمًا لا ينقطع٠
وهذا مقام " الاصطلام "٠

[بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ]
عن ابن عباس -رضى الله تعالى عنهما- : أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو بهذا الدعاء فى أكثر الأوقات، وعقب الصلوات، ووقت الأسحار٠

وينبغى للإخوان الحاضرين أن يدعوا سرًّا كالتالى، أو يؤمّنوا على دعائه كما مر، ثم يجهرون جميعًا بقولهم :

[وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمَيَن] على التوفيق لتلاوة هذا الورد٠

[وَاسْتَجِبْ دُعَانَا] بهذا الورد فلا تردّه لنقصه بغفلة قلوبنا، فإنك أمرت بالدعاء، ووعدت بالإجابة عليه بقولك : { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } ٠

[وَاشْفِ مُرضَانَا] أى : مرضًا حسيًّا يعوقهم عن الأعمال الظاهرة، أومعنويا يعوقهم عن توجه قلوبهم إليك للمناجاة٠

[وَارْحَمْ مَوْتَانَا] الذين فارقوا الدنيا بخروج أرواحهم بتكفير سيآتهم، أو الذين ماتت قلوبهم لإستيلاء ظلام الطبيعة عليها بإزالة ذلك عنها، وإيقاظها إلى التوجه الى مشاهدتك٠

[لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ] ويكررونها [ثَلاَثًا] اقتداء به - صلى الله عليه وسلم - حيث لقنها لعليِّ كرَّم الله وجهه٠
ثم يقولون : [هُو] بِالمدِّ جميعًا رافعين أصواتهم٠

ثم يقول التالى للورد وحده :
[سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَصِدْقًا]
أى : حقت رسالته حقا، أى ثبتت بالمعجزات ثبوتًا تامًّا، وصدق فى دعواه الرسالة صدقًا، أو أقول ذلك قولًا حقًا، وأصدق به صدقًا٠

[وَصَلِّ عَلَى كُلِّ نَبيِّ وَوَليِّ وَمَلَكٍ]
وقد عرفت مما تقدم أن الصلاة تجوز على غير الأنبياء تبعًا٠

[أَسْتَغْفِرُ اللهَ] ويكرر الإستغفار [ثَلاَثًا]
لحديث : « إن الله وتر يحب الوتر »٠ والثلاث أول مراتب الوتر من الأعداد٠

ثم يقول [مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللهُ] أى : لم يرض صدوره من عبده سواء كان [قَوْلًا] باللسان [وَفِعْلًا] بالأركان، [وَخَاطِرًا] بالقلب، [وَنَاظِرًا] بالعين٠
والواو فى ذلك بمعنى : أو٠

[وَأَتُوبُ إِلَيْهِ] أى : أرجع إليه بالندم، والإقلاع عن الذنوب، والعزم على عدم العود لها٠

ثم يقول سرًّا :
[سُبْحَانَ الله (٣٣) [الْحَمْدُ لله] (٣٣) [الله أَكْبَرُ] (٣٣)٠
[اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا]

ثم يجهر بالقول : [وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ العَظِيمَ وَبِحَمْدِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً]
البكرة : أول النهار، والأصيل : آخره٠
والمراد : استغراق جميع الأزمنة٠

لحديث : « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها »٠
قال الصدّيق الأكبر : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : المساجد، قال : وما الرتع فيها ؟ قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس »٠
رواه مسلم٠
إلى غير ذلك مما ورد فى فضلهنَّ٠

[وَتَعَالَى اللهُ] أى : ارتفع حال كونه [مَلِكًا جَبَّارًا قَهَّارًا سَتَّارًا سُلْطَانًا] مرادف لملكًا٠
[مَعْبُودًا قَدِيمًا قَدِيرًا] [وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِّى الْعَظِيمِ]

[وَاعْفُ عَنَّا يَا كَرِيم]
أى : تجاوز عن سيئاتنا جهريها وسريها، عمدًا أو سهوًا، كبيرة أم صغيرة، ومنها الغفلة عن تلاوة هذا الورد٠

[وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ] [بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ]
وفي الحديث : « من قال ثلاثًا يا أرحم الراحمين، نادى مناد أنّ أرحم الراحمين أقبل عليك فاسأل ما شئت»٠

ثم يقرأون جَميعًا [الْفَاتِحة] سِرًا، وَيُهْدِى ثَوَابَهَا إِلَى حَضْرَةِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم -، وآل بَيْتِه الكِرَامِ، وَلِمشايخِ الطَّرِيقَةِ أجمعين - رَضىَ اللهُ عَنْهُم وَعَنَا بِهِمْ -٠

ثم يتعوّذ التالى [وَيَقْرَأ] وهم يستمعون٠
ففى الحديث : « الداعى والمؤمّن فى الأجر شريكان، والقارئ والمستمع فى الأجر شريكان، والعالم والمتعلم فى الأجر شريكان »٠ رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس٠

[سُورَةَ يس]
وقدجاء فى فضلها أحاديث كثيرة منها :

قوله - صلى الله عليه وسلم - كما فى " الكشاف " :
« من قرأ يس يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له، وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس، نزل بكل حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه٠
وأيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت، لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها، وهو على فراشه، فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حيضان الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان »٠

وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن فى القرآن سورة يشفع قارئها، ويغفر لمستمعها، ألا وهى سورة يس »٠ اه

[ثم يقرأ أوائل الصافات] إلى قوله { مبين } لقوله -صلى الله عليه وسلم- :
« من قرأ والصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بالمرسلين »٠

(ثم قوله) تعالى : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ } إلى آخر السورة٠
(ثم قوله) تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا } إلى آخرها٠
(ثم قوله) تعالى : { فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ } إلى آخرها٠
(ثم قوله) تعالى : { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ } إلى آخرها٠

[ثم يقرأ أواخر سورة الحشر]
قال تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ } إلى قوله { يَتَفَكَّرُونَ }
ثم ينوى القطع، ويسكت سكتة لطيفة، ويقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاثًا، ثم يتم السورة٠
ففى الحديث : « من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار، فقبض فى ذلك اليوم أو الليلة، فقد وجبت له الجنة »٠
رواه ابن عدى فى الكامل، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن أبى أمامة٠

وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« من قال حين يصبح ثلاث مرات؛ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وُكِّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة »٠
رواه أحمد والترمذى عن معقل بن يسار٠

فقصد أهل الطريق الجمع بين الحديثين طلبًا للإستكثار من الأجر٠

قال الأستاذ سيدى مصطفى البكرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ ونفعنا ببركته :
سألت العلامة الشيخ عبد الله الخليلى المقيم الآن بطرابلس الشام، جاد الله علينا وعليه بحسن الختام، عن هذه الرواية الثانية، وقلت له :
إن أهل طريقنا يقطعون القراءة، ويستعيذون ثلاثًا كما تقدم، فهل رأيتم فى ذلك حديثا ؟
فقال : لا، لكن إن كنتم أخذتم ذلك عن أشياخكم، فلابد أن يكون لهم مستند فى ذلك، وإن لم نقف عليه، فإن السنة واسعة٠
فلما وقفت على هذا الحديث، تذكرت مقالته، ودعوت له على حسن أدبه، واعتقاده فى أهل الطريق٠

ثم يقول :
{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }
{ وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }
{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

ثم يسكت سكتة لطيفة ويبتدئ الشيخ أو التالى للورد بالذكر، وينبغى له قبل الشروع أن يتوجه بقلبه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ويستأذنه فى دخول حضرة الله تعالى، فإنه صاحب الحضرة بأن يقول : دستور يا رسول الله، ثم يتوجه إلى الله تعالى، ويستأذنه فى دخول حضرته والذكر له، ويقول : دستور يا الله، ويشرع فى الذكر إلى طلوع الشمس أو قربها من الطلوع٠

وإذا أراد ختم الذكر كذلك ينبغى أن يستأذن الواسطة العظمى وصاحب الحضرة الإلهية، وإذا أراد أن يستأذن لهم فى الخروج يقول فى باطنه : حضرتك لا يملّ منها، وذكر اسمك لا يسأم منه، لكن عبادك هؤلاء فيهم ذو الحاجة والمريض إن كان، وإن هممهم قصرت وضعفت، ومرادى أختم بهم٠

ويرفعون أصواتهم معه عند الختم [بلا إله إلا الله] [هو] ويمدون لفظة هو ، محمد رسول الله حقًا وصدقًا، وصل على جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين٠

ثم يقرؤن الفاتحة لصاحب الورد وأهل الطريق، ويدعو كل منهم بما يحب، ويختم بهم ثم يضعون أيديهم على صدورهم، ويدعون بدعاء السكتة، وهو :

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله
الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله
الصلاة والسلام عليك يا نبى الله

العظمة لله تكبير، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد٠

ويجهر الشيخ أو المأذون له بقوله :
واغفر لنا ذنوبنا يا رحمن يا رحيم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين٠

وحكمة وضع أيديهم على صدورهم عن دعاء السكتة :
تحققهم أن تنويرها لم يكن إلا بواسطة الحبيب الأعظم - صلى الله عليه وسلم -، فوضع الأيدى على الصدر فيه تذكير للنفس بأن هذا الذى نحن مشتغلون بالصلاة عليه، هو السبب فى شرح صدرونا للإسلام والإيمان، وما عندنا ما نكافئه به إلا الصلاة والتسليم عليه ٠

ثم أنهم لما ذكروا عظمة الرسول ورفعة مقامه، ذكروا عظمة المرسل له فعظموه وكبروه وحمدوه، ثم أنهم لما علموا أنهم مقصرون، وعاجزون عن القيام بواجب ذلك، سألوا منه العفو والمغفرة٠

ثم يختم بقوله :
[اللهم استجب دعانا، واشف مرضانا، وارحم موتانا، وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين]٠

وهذا آخر ما تيسر جمعه على هذا الورد، جعله الله خالصًا لوجهه الكريم، بجاه سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-٠
وكان الفراغ من تبيضه يوم الأربعاء المبارك، لتسعة عشر يومًا خلت من شهر شعبان، سنة ألف ومائتين وإحدى وتسعين من هجرة سيد المرسلين - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - آمين٠